وزارة الداخلية
القيادة العامة لشرطة الشارقة
إدارة مركز بحوث الشرطة

سنـــد..مبادرة رائدة لدعم أسر النزلاء
قصص واقعية من وحي التجربة

الرقيب/ محمد الحافظ بلعمش

الإمـــارات
THE EMIRATES

228
2023

إن عظمة الأمم تقاس برقيها الحضاري وتقدمها العلمي وحسن استثمارها لمواردها لما فيه خير أبنائها، وبما تقدمه للإنسانية من فكر وثقافة وإبداع.

سلطان بن محمد القاسمي

"سند"

مبادرة رائدة لدعم أسر النزلاء قصص واقعية من وحي التجربة

إعداد

الرقيب / محمد الحافظ بلعمش

2023

بلعمش، محمد الحافظ
363.209535

• ب م . س

• سند : (رواية) : مبادرة رائدة لدعم أسر النزلاء قصص واقعية من وحي التجربة / محمد الحافظ بلعمش ـ الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : مركز بحوث الشرطة، 2023.

• 212 ص. ؛ 24 سم. (اصدارات مركز بحوث الشرطة ؛ 228)

1. الخدمات الشرطية.

2. الشرطة - الامارات العربية المتحدة.

3. الشرطة – الجوانب الاجتماعية

أ. العنوان

ISBN 978-9948-781-19-6

تمت الفهرسة بمعرفة مكتبة الشارقة

مادة الإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها
وليس بالضرورة عن رأي مركز بحوث الشرطة

حقوق الطبع محفوظة لشرطة الشارقة / مركز بحوث الشرطة

الطبعة الأولى 1445هـ - 2023م

ص. ب: 29 ، الشارقة – الإمارات العربية المتحدة

هاتف: 5945112 – 009716 براق: 5382013 – 009716

E-mail: prc@shjpolice.gov.ae Website : www.shjpolice.gov.ae

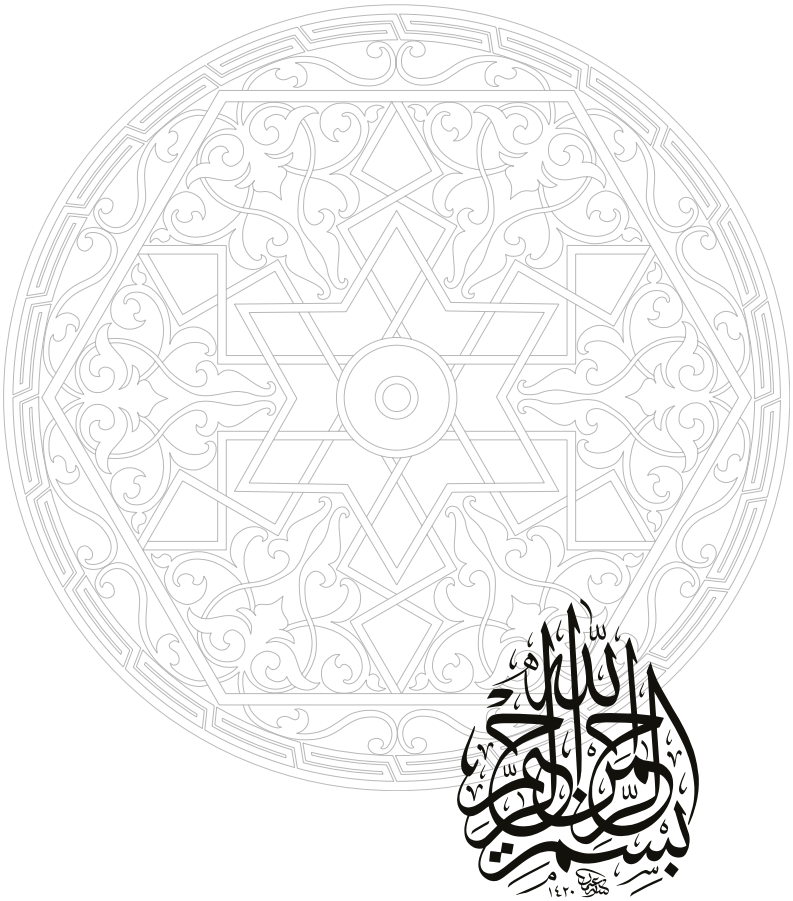

قال تعالى:

الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون

سورة الأنعام / الآية (82)

التوجه الاستراتيجي لوزارة الداخلية
2023-2026م

- الرؤيـــــة :

أن تكون دولة الإمارات أفضل دول العالم في تحقيق الأمن والسلامة.

- الرسالـــة :

أن نعمل بفاعلية وكفاءة لتعزيز جودة حياة مجتمع الإمارات من خلال تقديم خدمات استباقية ذكية ومبتكرة وذلك حفاظاً على الأرواح والأعراض والممتلكات.

- القيـــــم :

1. الولاء
2. التسامح وحسن التعامل.
3. الشفافية والنزاهة.
4. الاحترافية.
5. العمل بروح الفريق.
6. الريادة والابتكار.
7. العدالة.

- الأهـداف الاستـراتيجية :

1. تبني التكنولوجيا المتقدمة في مجالات الجريمة الحديثة والمساهمة في استباقية التصدي لها محلياً ودولياً.
2. تمكين التنقل الآمن للطرق باستخدام الأنظمة المرورية الحديثة.
3. تعزيز التكنولوجيا والتقنيات الحديثة في السلامة والحماية المدنية.
4. تحقيق الاستعداد والجاهزية في إدارة الأزمات والكوارث.

يقوم مركز بحوث شرطة الشارقة بإصدار ونشر سلسلة من الدراسات في مختلف مجالات العمل الأمني والشرطي.

شـــروط النشـــر

1. الأصالة في مجال العلوم الشرطية والأمنية والتخصصات الأخرى ذات الصلة، وأن تكون الدراسة لم يسبق نشرها من قبل.

2. مراعاة قواعد وأصول البحث العلمي من حيث الأسلوب والنظرية والمنهج.

3. أن تتضمـن الدراسـة الرجـوع إلـى المصـادر العلميـة الحديثة.

4. أن تكتب الدراسة وتطبع بلغة عربية سليمة ويرفق معها ملخص باللغتين العربية والإنجليزية وألا يقل حجم الدراسة عن أربعين صفحة.

5. يلتزم الباحث بعدم إرسال دراسته إلى أي جهة أخرى للنشر حتى يصل إليه رد المركز وتعطى الأولوية للنشر حسب الأسبقية الزمنية للتحكيم.

6. لا يلتـزم المركز برد أصل الدراسة سـواء تــم نشـــرها أم لا.

7. تخضع الدراسات للتحكيم وتقرر الهيئة العلمية المشرفة على الإصدارات صلاحية الدراسة للنشر بناء على رأي ثلاثة محكمين متخصصين.

هيئة التحرير المشرفة على إصدارات
مركز بحوث شرطة الشارقة :

- المشرف العام : اللواء / سيف محمد الزري الشامسي
  قائد عام شرطة الشارقــة

- رئيس التحرير : العقيد / علي سيف الذباحي
  مدير إدارة مركز بحوث شرطة الشارقة بالإنابة

- مدير التحرير : العقيد / عبدالله محمـد المليـح
  رئيس قسم البحث العلمي
  بمركز بحوث شرطة الشارقة

- الإشراف التنفيذي : المقدم / فهد محمد الحمودي
  رئيس قسم التعاون والدعم العلمي
  بمركز بحوث شرطة الشارقة

- الإشراف الفني : المساعد أول/ أحمد أمين الزرعوني

أعضـاء الهيئـة العلمية المشرفة على إصدارات مركز بحوث شرطة الشارقة:

• العقيد/ عبدالله محمــد المليــح	رئيس قسم البحث العلمي بمركز بحوث شرطة الشارقة
• العقيد/ د. خليفة يوسف بالحاي	مكتب القائد العام
• العقيد/ د. سيفان علي خليفة سيفان	نائب مدير إدارة الكفاءات بأكاديمية العلوم الشرطية بالشارقة
• المقدم/ د. عبدالله سيف الذباحي	رئيس قسم ترخيص الآليات والسائقين بإدارة شرطة المنطقة الشرقية
• المقدم/ د. طارق نصيب البلوشي	مدير فرع أمن منفذ خطم ملاحة بإدارة شرطة المنافذ والمطارات
• الرائد/ د. جاسم بن جرش السويدي	مدير فرع التعليم الافتراضي بأكاديمية العلوم الشرطية بالشارقة

تقديـــم

تمثل مناهج البحث العلمي السبيل الرئيسي لإقامة الحضارات واستباق الأمم. كما أنها تعد الأداة الأولى في تطويع تحديات الحاضر واستشراف المستقبل.

ويعد مركز بحوث شرطة الشارقة بالقيادة العامة لشرطة الشارقة أحد المراكز البحثية بالدولة والتي تتطلع بدور مهم في رصد كافة الظواهر الاجتماعية والأمنية وبحث أفضل الآليات للاستفادة من إيجابياتها ووأد سلبياتها لضمان استمرار ركب التنمية والتقدم ، كما يقوم المركز من خلال دراساته في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والقانونية والأمنية وبالتعاون والتنسيق مع المراكز البحثية الأخرى بالدولة وخارج الدولة بتقديم أفضل الحلول والمقترحات لكافة قضايا المجتمع.

وفي هذا الصدد تتعدد صور النشاط العلمي لمركز البحوث ما بين مؤتمرات وندوات وعقد دورات وحلقات ومحاضرات ومنشورات علمية ، وهو الأمر الذي يسهم بلا ريب في إثراء مجالات الفكر العلمي والأمني المختلفة وتقديم المشورة الفاعلة لمتخذي القرار وتوفير قاعدة علمية متميزة لكافة الباحثين والعاملين في مجالات العمل الاجتماعي والقانوني والأمني المختلفة للنهل منها وتقديم كل ما هو نافع ومفيد للحفاظ على مكتسبات المجتمع وأمنه.

والله ولي التوفيق،،،

اللواء / سيف محمد الزري الشامسي

قائد عام شرطة الشارقة

توطئـــة

في إطار تفعيل دور مراكز البحوث الأمنية ، يصدر مركز بحوث شرطة الشارقة مجموعة من الدراسات والبحوث في مجالات الأمن بمفهومه الشامل بهدف تكوين ثقافة أمنية لدى العاملين في الجهاز الشرطي، ودعم الدور المجتمعي في مجالات مكافحة الجريمة ، كما أنها وفي الوقت ذاته تمُد صاحب القرار الأمني بقاعدة بيانات علمية دقيقة تساعده في اتخاذ القرار السليم.

وتتضمن إصدارات عام 2023م عدداً من الدراسات والأبحاث المتميزة التي جاءت استجابة للتحديات الأمنية والمجتمعية وتصدياً للجرائم المستحدثة وملبية للتوجه الوطني والمؤسسي نحو التميز الاستراتيجي مواكبة للتطورات العالمية والمتمثلة في العولمة وإفرازاتها وتعالج قضايا أمنية وإدارية، بالإضافة إلى موضوعات قانونية واجتماعية.

وجاءت هذه الدراسة استناداً على مؤشرات أداء المؤسسة العقابية والإصلاحية لتزايد أعداد أسر النزلاء المقدمة لطلب المساعدة، إلى جانب عدم إمكانية الجهات الخيرية بالالتزام الدائم بتوفير الدعم الكامل، فكان من اللازم البحث عن أفضل الحلول وأنسبها وفق ما تمتلكه المؤسسة العقابية من إمكانيات وصلاحيات بإطلاق مبادرة سند لتكون سنداً لمثل هذه الحالات وعوناً لهم وتحقيق إستقرار أسر النزلاء ووقاية أبنائهم من الانحراف من خلال تدريبهم على المشاريع الصغيرة لتعينهم على توفير متطلبات أبنائهم، بالإضافة لتحقيق الاستقرار النفسي للنزلاء وجدية إلتزامهم بالقوانين ليكونوا أفراد صالحين في المجتمع.

العقيد / علي سيف الذباحي

مدير إدارة مركز بحوث شرطة الشارقة بالإنابة

المحتويـــات

مستخلص 19
تمهيد 23
المقدمة 35

أم هند 55
شهاب جد سهيل 55
يعقوب 62
سهيل بين مشروعية الحلم ورعونة الأسباب 63
سند في بيت العائلة واكتشاف أم هند 70
التدريب 74
أم هند والعائلة في الملتقى الأسري لزيارة سهيل 79
أم هند تباشر مشاريعها الصغيرة 83
أم هند والتوسع في النشاط 92
اعتراف 96

"سند" والتأثير الإيجابي المزدوج 103
شخصية أبو مروان 103
سقوط مروان وخيبة أمل أحمد 108
مروان والانقلاب المفاجئ 113
الأخصائيات والزيارة الأولى لبيت العائلة 116
أم مروان وبناتها.. بداية الانخراط في برنامج "سند" 123
أثر المبادرة على نفسية مروان 130
سند رعاية مزدوجة 132

عائلة خليفة والوجه الآخر للمؤسسة العقابية والإصلاحية 137
سُمية وسند قصة كفاح تكللت بالنجاح 137
خليفة والنظرة المختلفة للمؤسسة 141
يحاول مقابلة الأخصائي "مسؤول التسويات" 148
يطلب مقابلة الأخصائية 150

سند في بيت خليفة 152
مقابلة الأخصائي مسؤول "التسويات والمصالحات" 155
تباشير الأمل والخلاص..... 162

سند في بيت أم منصور يفيد ويستفيد 173
منصور ومحاولة النهوض بالعائلة 175
سقوط منصور في قبضة العدالة 177
منصور واللجوء إلى سند 184
سند يستكشف أهل بيت منصور 190
سعدية مدربة معتمدة لدى برنامج "سند" 200
أم منصور في منتزه الشرطة الصحراوي 203
تأثر منصور بنجاح البرنامج مع أمه وأخته 206

الخاتمة 208

مستخلص

إنطلاقا من حرص المؤسسة العقابية والإصلاحية على تحمل المسؤولية والوعي العميق والإحساس بمعاناة أسر النزلاء في حال غياب المعيل لها، جاءت فكرة مبادرة سند لتكون سنداً لمثل هذه الحالات وحمايتها مما يمكن أن تتعرض له من أضرار بالغة الأثر، وتكون سند بصمة في سجل الخدمة الإنسانية والمجتمعية، وتنطلق مبادرة سند من هدفان رئيسيان وهما:

- استقرار أسر النزلاء وفقاً لآلية تمكينهم وتأهيلهم من أجل ريادة المشاريع الصغيرة التي تسمح لهذه الأسر بسد إحتياجاتها باعتمادها على مصادرها الخاصة، وتمكنها من رعاية أبنائها وتوفير متطلبات إستقرارهم في التعليم والحد من إنحرافهم.
- تعزيز رضا أسر النزلاء عن الخدمات المقدمة لهم من القيادة كتوفير خدمات عالية الجودة تفوق متطلبات هذه الأسر باعتمادها على المشاريع التجارية الصغيرة التي يتم تأسيسها وفقاً لميول الأسر وإمكانياتها وخبراتها المهنية ليتم إقبالهم عليها وترغيبهم بها.

ومن أبرز ما تم التوصل إليه من نتائج بتطبيق مبادرة سند تحقيق الدعم النفسي إلى جانب الدعم المادي للطرف المستفيد، وتعزيز التكافل المجتمعي، ومحاربة البطالة، وتمكين ربات الأسر، وتوفير فائض مخصصات الدعم والإعانة لإقامة مشاريع تعود بالنفع العام على المواطن والدولة، إلى جانب تحقيق الاستقرار النفسي للنزلاء مما يكون له الأثر الطيب على مستوى تفاعلهم مع البرامج المقدمة والتزامهم بالقوانين الداخلية للمؤسسة وبذلك يكونوا أفراد صالحين وفاعلين في المجتمع.

Sanad

A pioneering Initiative to Support Inmates' Families; Real-life Stories Inspired by experience

Based on the penal and correctional institution's keenness to assume responsibility and deep awareness of the inmates' families suffering from the absence of their dependants, the Sanad initiative came out to support such cases and protect them from any serious harm they may suffer. And to be a mark on the register of humanitarian and community service. Sanad initiative is based on two main goals:

- Stabilization of inmates' families through their empowerment and rehabilitation plans; to lead small enterprises that allow them to meet their needs by relying on their sources and enabling them to take care of their children and provide their needs in education and reducing their deviation.
- Enhancing the satisfaction of inmates' families with the services provided by the institution as delivering high-quality services that exceed the requirements of these families by relying on small businesses established in accordance with the tendencies, abilities, and professional experiences of families to be accepted and desired.

One of the most significant findings after the application of the Sanad initiative is the achieving psychological and financial support, strengthening social solidarity, combating unemployment, empowering women heads of household, and providing surplus support and subsidy for projects for the public benefit of citizens and the country, in addition, to achieve inmates' psychological stabilization, which has a good impact on their interaction with the programs provided and their adherence to the institution's internal laws, thereby being valid and active members of society.

هذا العمل

فكرة

العميد / أحمد عبد العزيز شهيل

مدير إدارة المؤسسة العقابية والإصلاحية بالشارقة

متابعة وتوجيه

المقدم / عبد الله خلفان الغزال

رئيس قسم الإصلاح والتأهيل

النقيب / خلفان سالم العليلي

مدير فرع التأهيل والتدريب

(فريق المشروع)

الرقيب أول / الشيخ ولد زنفور

ساهم في توفير المعلومات للمؤلف عن العائلات فريق مبادرة «سند»

الرقيب أول / حليمة حسن

الرقيب أول / مريم علي سعيد

الرقيب / منال محمد عادل

المدني / أروى نصيب

المدني / علياء المسافري

المدني / روضة الشامسي

تمهيد

الحيـاة بطبيعتهـا أرضـية خصـبة للتجـارب والنظريـات وميـدان لاختبـار مـا يناسـب هـوى الإنسـان مـن رؤى وتوجهـات تطـرح حـين تطـرح غالبـاً للصـمود والبقـاء، بمـا هي تجـارب أو خـدمات تجلـب منفعة عامة أو تحقق مصلحة خاصة.

لكـن وحـدها التجـارب والنظريـات الهادفـة هي الـتي تسـتطيع المحافظـة عـلى مكانتهـا في سـجل الخلـود، بنـاء عـلى مـا تملكـه مـن مقومات وما تقدمه للإنسانية من نتائج ومكاسب!..

﴿... فأَمَّـا الزَّبَـدُ فَيَـذْهَبُ جُفَـاء وَأَمَّـا مَـا يَنفَـعُ النَّـاسَ فيَمْكُـثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ﴾ {الرعد، الآية: 17}

وكلمـا كانـت مـبررات الفكـرة ودواعيهـا ملحـة ومنطقيـة، كانـت تلـك الفكـرة أقـرب إلى الصـمود والبقـاء عـلى صـعيد الواقـع أكـثر مـن غيرها من الأفكار.

والـذي يـبرر مـا قـد نلاحظـه مـن نجـاح بـاهر للعديـد مـن هـذه الـرؤى والنظريـات عـلى مـدار التـاريخ هـو اسـتجابتها لمطلـب مُلـح ملمـوس الفائـدة عـلى صـعيد الواقـع أو تمخضـها عـن نتـائج واضـحة غير قابلة للتشكيك والمساومة.

ومـن هـذا المنطلـق اسـتدعت ظـروف اسـتثنائية تعيشـها بعـض العــائلات في الدولــة الحاجــة إلى التفكــير الجــاد في تقــديم حلــول مبتكــرة تصــحح مــن وضــعية هــذه العــائلات، وتســاهم في إعطائهــا فرصــاً أحســن في التغلــب عــلى مشــكلة مستعصــية تتمثــل غالبــاً في غيــاب المعيــل لســبب مــن الأســباب، حيــث تبلــورت هــذه الفكــرة الميمونــة- ســند لــدعم أسر الــنزلاء- الــتي نريــد لهــا أن تكــون نــواة وبلســماً لعــلاج وجــع مــا كــان لــه أن يظــل مهمــلاً في أوســاط مجتمــع معطــاء يحــرص بــالفطرة عــلى التكامــل والنهــوض بكــل مكوناتــه مهمــا كانــت ظــروفهم وأوضــاعهم، ويتــداعى لبعضــه بالســهر والحــمى كالجسد حين يشتكي منه عضو.

وهكــذا فاســتناداً عــلى نتــائج مــؤشرات أداء المؤسســة العقابيــة والإصــلاحية طبقــاً لــدليل الأداء المؤســس الــتي أظهــرت تزايــد عــدد أسر الــنزلاء المتقدمــة بطلــب للمســاعدة والــذي بلــغ 421 طلبــاً خــلال عــام 2014 مقابــل نســبة تجــاوب مــن الهيئــات الخيريــة بلغــت 20% فقــط، وحيــث أظهــرت دراســات الحــالات الاجتماعيــة للــنزلاء 53 مشــكلة أسريــة انتهــت بــالطلاق نتيجــة عــدم القــدرة عــلى تحمــل النفقــة، فكان لزامــاً علينــا كجهــة رسـمية معنيــة قبــل غيرهــا بعــلاج مثــل هــذه الظــواهر الســلبية والبحــث لهــا عــن حلــول، أن نســعى بكــل جــد

في خلق أفضل الحلول وأنسبها وفق ما نملكه من مقدرات وصلاحيات، وذلك ما تطلب منا عقد اجتماع عصف ذهني لمناقشة الموضوع حيث تم طرح البدائل التالية:

أولاً: البحث عن شراكات جديدة لتغطية احتياجات الأسر المادية والتنسيق مع جهات الاختصاص لتوفير الرعاية الاجتماعية والنفسية لهم وقد تم استبعاد هذه الفكرة نظراً لعدة عوامل منها:

1. أن الهيئات الخيرية لا يمكنها الالتزام دائماً بتقديم الدعم الكافي لهذه الأسر، خاصة أن أغلب معيليها من متعاطي المخدرات وبالتالي فهم عرضة لفقدان المعيل خلال فترات متعددة.
2. عدم قدرة مراكز الدعم الاجتماعي على التواصل والربط بين النزيل والأسرة وبالتالي سيكون هنالك نقص في المتابعة المستمرة إذا أخذنا بعين الاعتبار وضع المعيل بالمؤسسة.

ثانياً: التنسيق مع المؤسسات لحصول معيلات الأسر على وظائف وهو ما يتطلب امتلاكهن مؤهلات دراسية ومهارات للقبول في هذه الوظائف ونظراً لصعوبة توفر ذلك في أغلب الحالات، بالإضافة إلى عدم وجود الشواغر المناسبة، كما أن عملهن

سيتطلب غيابهن عن المنازل مما ينعكس سلباً على قدرتهن على متابعة ورعاية الأبناء في ظل غياب المعيل.

ثالثاً: استحداث مبادرة تعمل على تمكين ربات الأسر من رعاية المشاريع الصغيرة بعد تأهيلهن مهنياً ودعمهن لتأسيس مشاريع مدرة للدخل تجعلهن قادرات على الاعتماد على أنفسهن في توفير احتياجاتهن وتتيح الفرص لأزواجهن في الانضمام إليهن في العمل بعد انقضاء محكومياتهم وخروجهم من المؤسسة.

وقد تم الاتفاق على جدوى تطبيق هذا الخيار الأخير لأنه سيمكنهن من ولوج سوق العمل وتوفير احتياجاتهن فضلاً عن كون هذا الخيار لا يتطلب مؤهلات علمية عالية كما تقتضي ذلك شروط التوظيف في الظروف العادية بالإضافة إلى أنهن سيمارسن عملهن بالمنازل وهو ما سيسمح لهن بمتابعة رعاية أبنائهن في الوقت ذاته.

إذ لا ينبغي بأي منطق أن نغض الطرف عن وجع حقيقي يطال فئة عريضة من هذا المجتمع.. ونتركها فريسة لظروف قاسية وجدت نفسها لسبب ما عرضة لها في الوقت الذي يمكننا فيه أن نقدم لها من العون والمساندة ما من شأنه أن يخفف عنها من وطأة ذلك الوجع، إن لم يشفها ويخلصها منه بشكل كامل.

فسند إذاً بهذا المعنى تعتبر لفتة موفقة مبعثها التوجع العميق لحالات عائلية صعبة تعيشها أسر عديدة نظراً لظروف قاهرة أوقعت معيليها في شرك الإدمان.. أو قادتهم لما يسلب حرياتهم من مخالفات وجنح يحاسب عليها القانون بالحبس والتوقيف.

وحيث أن ذلك المعيل يترك في الغالب أنفساً بريئة لم تقترف أي جرم لتعيش بحكم العجز في الغالب ظروفاً بالغة السوء، كان لا بد لنا وانطلاقاً من تحمل المسؤولية والإحساس بتلك المعاناة، أن نفكر في ذلك الجانب الإنساني المحض، وأن نأخذ بعين الاعتبار ما قد ينجم عن الترك أو الإهمال لمثل هذه الحالات من عواقب وخيمة بالغة الضرر على هذه العائلات خاصة وعلى المجتمع بشكل عام. فكانت قناعتنا أنه من غير اللائق أن تترك تلك الأسر لمصيرها دون أن نتقدم تجاهها بالواجب أو بما هو في مقدورنا من دعم ومساندة.

فجاءت فكرة سند لتكون سنداً لمثل هذه الحالات ولتضع بصمة في سجل الخدمة الإنسانية والمجتمعية على مستوى الدولة، نأمل أن تكون نواة عمل كبير يطمح لانتشال العديد من الأطفال والأمهات والزوجات من ظروف الحاجة والعوز إلى مقام

الإنتاج والاعتماد على الذات بالدعم والتوجيه والتمويل أو على أقل تقدير أن تساهم هذه المبادرة في إنارة طريق الإنتاجية لهذه العائلات.

وأملنا يبقى دائماً كبيراً في أن نستطيع بمثل هذا التوجه التغلب على مثل هذه المشكلة الملحة.

أو أن نوفق في إبرازها للرأي العام مستثيرين بذلك اهتمام وتعاطف كل مَن مِن شأنه أن يحل هذه المشكلة أو يساهم من موقعه في حلها، إيماناً منا بأن مبدأ الإحساس بالآخر يظل مبدأ نبيلاً ينم عن شمولية الوعي بالمسؤولية وحسن تحمل أعبائها وتبعاتها.

إذ لا يكفي من وجهة نظرنا هذه أن نتوقف عند ما نقدمه لنزلاء مؤسستنا من خدمات وتسهيلات مهما كانت متميزة وراقية.

بل وجدنا في مقومات عناصر فكرة المبادرة من القدرات المتميزة والإبداع والابتكار ما يغري بطرحها فكرة رائعة حرية بالتطبيق على أرض الواقع خدمة للهم العام لهذا المجتمع أو الإعلاء من شأنه ومكانته بين المجتمعات.

فتطبيق مبادرة المشاريع المدرة للدخل لأسر النزلاء الذي سيمكنهم على أقل تقدير من الاعتماد على أنفسهم في توفير

الضروري من حاجاتهم من جهة، والمساهمة من جهة أخرى في الحد من البطالة في المجتمع، واحتواء النزلاء المفرج عنهم بتلك المشاريع الصغيرة التي تستهدف ذويهم ريثما يستكملون اشتراطات الاندماج في الحياة الاجتماعية النشطة ويتمكنون من تحمل مسؤولياتهم الاعتيادية كأرباب أسر.

هذا طبعا فضلاً عن تمكين السيدات المشاركات من ولوج سوق العمل ولو من هذا الباب الضيق والذي لا يقل عن الإسهام في تعزيز التماسك الأسري من خلال احتواء هذه المشاريع لأفراد العائلة، وعدم تركهم عرضة للتشتت والضياع، وخلق شراكات جديدة تدعم الجهود المبذولة في سبيل الارتقاء بالرعاية الاجتماعية للأسر وتفتح آفاقاً جديدة للتعاون في مجال الخدمة المجتمعية والعمل التطوعي بشكل عام.

كل ذلك كان ضمن أقوى الأسباب التي دعتنا لطرح هذه المبادرة والعمل على تطبيقها، وحتى لا نرتهن أنفسنا وفكرنا في خدمة دائرة ضيقة داخل أسوار المؤسسة.

أبداً فنحن نتسامى بأنفسنا على التفكير بمثل هذا القصور وهذه السطحية ونطمح إلى تقديم القدوة في الارتقاء بالعمل الإداري إلى مداه مستنيرين في ذلك النهج بفكر ملهم من قيادتنا

الرشـيدة. فكـراً يستحضـر سـاعة معالجـة المشـكلة مختلـف جوانبهـا وأبعادهـا ويرسـم لهـا مـن الحلـول مـا هـو كفيـل باستئصـالها مـن الأساس.

لأجـل هـذا جـاءت مبـادرة "سـند لـدعم أسر الـنزلاء" لتكمـل سلسـلة مـن المبـادرات والمسـاعي الخـيرة الـتي تصـب بمجملهـا في صـالح الفئـة الهشـة والأسر المتعففـة وتعتـبر مـن مخرجـات هـذه المبـادرة وروافـدها المتنوعـة كـالمير الرمضـاني وكسـوة العيـد إلى حقيبـتي وغيرهـا مـن المسـاهمات الـتي تقـوم بهـا المؤسسـة في إطـار العمل المجتمعي الخيري الذي يستهدف هذه الفئة بشكل خاص.

إلا أن مـا يمـيز هـذه المبـادرة بالـذات هـو طـابع الاسـتدامة والإنتاجيـة نظًـرا لأنهـا تنبـني عـلى فكـرة دعـم أو إقامـة المشـاريع المـدرة للـدخل شـأنها في ذلـك شـأن أي مشـروع تجـاري يسـعى لامتلاك مقومات الصمود والمنافسة.

ولعـل الإشـكال الأصـعب الـذي قـد يواجهنـا في هـذا الصـدد هـو قـدرة هـذه الفئـة المسـتهدفة عـلى الاسـتجابة لمتطلبـات مبـادرة مـن هـذا القبيـل، فليسـت كـل عائلـة مسـتهدفة قـادرة عـلى خـوض التجربـة مـن ناحيـة الخـبرة والظـروف الخاصـة والاسـتعداد المبـدئي لتقبلهـا والانخراط في فعاليتها.

لذلك قسمنا المستهدفين مبدئياً إلى قسمين:

- قسم يمتلك مقومات الانخراط المباشر في هذه المشاريع ولا ينقصه إلا التمويل وقليل من الدعم والتوجيه، وذلك ما يعني سهولة استيعابه والارتقاء به في مدارج هذه المبادرة ومستوياتها.
- قسم لا يمتلك لخوض هذه التجربة إلا شدة الحاجة إليها وهذا ما يتطلب جهداً مضاعفاً من التأهيل والتدريب حتى يكون قابلاً للانخراط في المشروع حيث اتخذنا كافة الإجراءات اللازمة للتغلب على تلك المشكلة كما سيتضح لاحقاً في هذا الطرح.

فهنيئاً لنا في المؤسسة العقابية والإصلاحية على هذا المشروع المتميز وهنيئاً كذلك للأسر المستفيدة على انخراطها في هذه المبادرة التي تعود عليها بالنفع، وتسهل عليها عملية الولوج إلى دائرة الإنتاج والكسب ونبذ الكسل والاتكالية.

وأملنا كبير في ألا تتوقف عجلة البذل والعطاء عند هذا الحد بل تنمو وتتشعب لتطال أطرافاً أخرى وبأساليب أخرى أكثر نجاعة ومنفعة.. حتى لا تظل ثغرة في هذا المجتمع إلا وتم سدها والنظر

في سبل علاجها بكل ما هو متاح من وسائل تقليدية ومبتكرة.. تمثلاً واقتداءً بفلسفة قادة يدعوننا للتشبث بالصدارة في كل مناحي الحياة.

وككل بداية قد تبدو هذه المبادرة في نظر من يحسبون الأمور بالنتائج الآنية بسيطة وعادية، لكننا نراهن على أن عملية الحساب في مثل هذه الأمور تبقى أكثر تعقيداً وتشعباً ومحصلتها الدقيقة تقتضي الإحاطة بالعديد من المعطيات والنتائج الكامنة التي لا تتجلى بنظرة تقييمية خاطفة لعملية مركبة لا تقاس بجانبها المادي الملموس دون الأخذ بالاعتبار لجانبها المعنوي المهم، كدعم النفس وتوصيل مشاعر التقدير والود التي تنقلها مثل هذه المبادرات للطرف المستفيد، فضلاً عن لائحة طويلة من الإيجابيات ونقاط القوة التي أقلها:

تعزيز التكافل الاجتماعي ومحاربة البطالة وتمكين ربات الأسر وتوفير فائض مخصصات الدعم والإعانة لإقامة مشاريع تعود بالنفع على الدولة والمواطن.

ولن نُلقي في هذا الصدد بالاً لأي محاولة تثبيطية هدفها التقليل من قيمة هذه المبادرة واستنقاص مردوديتها على المديين القصير والبعيد، لأننا على يقين بحكم التجربة والمعاينة من سمو

الرسالة وبلاغة التأثير الذي تحدثه على الكثير من الأشخاص الذين استفادوا منها واستطاعوا بمن الله وعونه أن ينتقلوا من وضعية مادية صعبة إلى حالات أفضل بكثير مما كانوا عليه قبل الاستفادة من هذه المبادرة!

إلا أن كل ذلك لا يدفعنا إلى المبالغة في مديح الفائدة الناتجة عنها خصوصاً في مراحلها الأولى التي تبقى في نظرنا مجرد بداية وتجربة قابلة للتوسعة والتطوير لتصير في المستقبل بحول الله تجربة رائدة بكل ما تحمله الكلمة من معنى. ولن يتأتى ذلك طبعاً دون تكاتف الجهود والتعاون الشامل من كل الأطراف والجهات الفاعلة في مجتمعنا المعطاء.

لأجل ذلك ها نحن نتقدم بالدعوة مفتوحة لكل من يهمه الأمر للإسهام في تطوير هذه المبادرة وترقيتها.

آملين أن تجد دعوتنا آذاناً صاغية، وأن تشهد تسابقاً وإقبالاً من كل المهتمين للإسهام والمشاركة.. فالقضية في النهاية قضية الجميع ونجاحها نجاح للجميع، وتعثرها- لا قدّر الله- تعثر للمجتمع بأكمله، دون أن يفوتنا التأكيد على أن كل المؤشرات

المستخلصة من سير المبادرة تدعو إلى الاطمئنان على أنها تمضي بخطى ثابتة في الطريق الصحيح.

والله الموفق

العميـــد/ أحمـــد عبد العزيـــز شهيـــل

مدير المؤسسة العقابية والإصلاحية بالشارقة

المقدمة

لن يكون من المقبول أن نتناول مشروعاً استثنائياً يملك من عناصر الفرادة والجدة ما يؤهله للتربع على صدارة المشاريع والمبادرات الرائدة، دون أن نمهد للحديث عنه بلمحة ولو موجزة عن آلية العمل عليه والمصاعب والتحديات التي كادت تشكل عائقاً يحول دون إنجازه على الوجه المطلوب، إضافة إلى المناهج والأساليب التي اعتمدناها مطية لتجاوز تلك المطبات وتذليل تلك العقبات حتى استطعنا في الأخير أن نخرجه للوجود مشروعاً عظيماً جديراً بالاهتمام والمتابعة.

على أن يكون لنا خلال هذا العرض التمهيدي تعريج على أهم المخرجات والنتائج التي ترتبت على المبادرة، وكان لها دور إيجابي في النهوض بجانب من المهمة والأهداف الاستراتيجية للمشروع كمبادرة المير الرمضاني والحقائب المدرسية والمساعدات المادية والعينية التي توزعها المؤسسة على أسر النزلاء في الإطار العام لهذه المبادرة.

ولعله من المناسب في البداية أن يكون المنطلق من حيث طبيعة المناهج البحثية التي سيستند عليها عملنا هذا، ومعرفة

عــلى أيٍّ منهــا ســيكون التركــيز والاعتمــاد، والمســوغات والأســباب الكامنة وراء ذلك الاختيار.

يتعلـق الأمـر هنـا أولاً وقبـل كـل شيء بالتشـديد عـلى أننـا بصـدد عمــل يجمــع بــين المنهجــين العلــمي والأدبي بهــدف ترغيــب القــارئ قبــل أن يســلبه الملــل متعتــه متابعــة التفاصــيل، وحــتى نجعلــه في حالــة تمثُــلٍ واستحضــارٍ لتلــك التفاصــيل الدقيقــة الــتي عاشــها المعنيـون بهـذه القصـص الـتي اتخـذنا منهـا مـادة لهـذه التجربـة لنطـرح من خلالها فكرة المبادرة، ونقدمها للقارئ بأسلوب مقبول.

فكانــت البدايــة بجــرد حصــيلة كافيــة مــن المعلومــات والمعطيــات عــن الأسر والأفــراد موضــوع الدراســة، وبعــد تــوفير مــا يلـزم مـن بيانـات علميـة ومعلومـات موثقـة مـن مهنيـين متخصصـين، كلفـتهم إدارة المؤسسـة بتلـك المهمـة العمليـة الجوهريـة، جـاء الـدور عـلى الصـياغة الأدبيـة الـتي ارتأينـا أن تكـون في غالـب قصصـي يختـار النماذج بعناية تأخذ من طبيعة التدخل وتميزه أساسا للاختيار.

وعــلى هــذا الأســاس لــن يكــون للترتيــب أهميــة إلا مــن حيــث ورود المعلومــات وتوافرهــا لــدى الكاتــب، تمامــاً مثلمــا أن اعتمــاد نمــوذج دون غــيره وتدوينــه في هــذا الكتــاب رغــم تشــابه ظــروف أصــحابه وتشــابه تــدخل المبــادرة لــديهم إنمــا يرجــع إلى الاكتفــاء

بنموذج واحد يشرح للقارئ كيف قدمت مبادرة سند نفسها قنطرة عبور لمثل هذه الحالات إلى بر الأمان.

وإلا فإن مسألة تدوين كل النماذج على سبيل الإحاطة تظل مستبعدة في هذه الدراسة لما قد يسببه ذلك من تكرار ممل يشكل عبئاً يخل بفكرة البحث وشكله قبل أن يخدمه ويضيف إليه.

هذا المشروع النموذجي الذي تدخل به المؤسسة العقابية والإصلاحية في الشارقة بقوة في مجال الإبداع والابتكار وتقدم نفسها بناء عليه مؤسسة رائدة في حمل الهم المجتمعي والتصدي لمشكلاته بعقلية مستنيرة تبحث عن الوقاية قبل العلاج، وتنظر إلى الأسباب قبل الأعراض والنتائج.

أو هذا المشروع الذي شكل بحق نقلة نوعية في تناول وعلاج مشكلة ملحة بأسلوب غير تقليدي يتتبع جذور المشكلة ومتعلقاتها وما يمكن أن تؤول إليه في آمادها وأبعادها المختلفة، لن يكون بتلك القيمة وتلك المواصفات ما لم تتكامل فيه أدلة عناصر الفرادة ومواصفات السبق التي نزعم توافرها وحضورها فيه بشكل ملحوظ.

فإلى أي حد تعتبر المبادرة مستحدثة..؟

وما قيمة الإضافة والتأثير الذي أحدثته أو يمكنها أن تحدثه على المستهدفين والمجتمع برمته..؟

أما فيما يتعلق باستحداث هذه المبادرة وابتكار آليات تطبيقها وتحديد أهدافها ومستهدفيها فذلك ادعاء يدعمه خلو الساحة الوطنية وربما الإقليمية من أي نموذج.

بهذه المواصفات وهذه الأساليب والأهداف، وأما فيما يتعلق بالإضافة والتأثير فذلك ما ستكشف عنه هذه الدراسة بالأدلة الموثقة والشهادات الميدانية من أصحاب الشأن والمعنيين عندما يسجلون اعترافاتهم الشخصية كما سنرى لاحقاً..

إنما لا بد قبل ذلك من الإشادة ببعض ما في المبادرة أو المشروع من عناصر قوة وخصوصية والإشارة إليها منطلقاً ومرتكزاً قوياً يبرر ما نحن بصدد بسطه من مديح وثناء عليه.

يتعلق الأمر بتلك النقاط التي تؤكد مبدأ الازدواجية وتعدي الفائدة من الجهة المستهدفة إلى متعلقاتها ومحيطها البعيد.

ثلاث جهات أو ثلاثة أطراف على أقل تقدير استفادت بشكل أو بآخر من هذه المبادرة رغم أنها وجدت لتخدم غاية أخرى وتهتم بعينة مستهدفة كرست لها المبادرة كل العناية والاهتمام.

فـبغض النظـر عـن النتـائج الكبـيرة المترتبـة عـلى تـدخل هـذه المبـادرة في شـؤون الأسر المعنيـة والتطـور الملمـوس الـذي تحدثـه عـلى أحوالهـا الماديـة والمعنويـة، تبـين بجـلاء أن لهـا انعكاسـاً إيجابيـاً كبـيراً عـلى العديـد مـن الجهـات خـارج الإطـار الضـيق لـلأسرة المستفيدة:

فالقيـادة العامـة: عـلى سـبيل المثـال ومـن خلالهـا المؤسسـة اسـتفادت بشـكل مبـاشر مـن إسـهام المبـادرة في تحقيـق رضـا الـنزلاء بموجـب اسـتقرارهم النفـسي المترتـب عـلى اطمئنـانهم عـلى أحـوال أسرهـم وهـو مـا سـاهم في تقليـل الحـوادث الأمنيـة بيـنهم بالمؤسسـة الإصـلاحية والعقابيـة والـتزامهم بـالقوانين والأنظمـة الداخليـة المُنَظِمـة، وزاد مـن تفـاعلهم مـع الخطـط والـبرامج الإصـلاحية المقدمـة لهـم وعـزز مـن فاعليـة بـرامج الرعايـة الاجتماعيـة الـتي تـدعم إدماجهم وأسرهم في المجتمع.

الشـركاء: فكلمـا كـان هنالـك إقبـال مـن الشـركاء عـلى الانخـراط في هـذه المبـادرة كـان ذلـك دلـيلاً عـلى الـتلاحم المجـتمعي والتماسـك الأسري والتوجـه العـام نحـو دعـم التنميـة المسـتدامة، وغـرس ثقافـة التطـوع والعمـل الإنسـاني وتوجيـه الرعايـة الاجتماعيـة لمسـتحقيها

والرفع من مستوى الوعي المجتمعي بها أداة للتكافل والتراحم بين أفراد المجتمع.

وهي ذاتها الأهداف التي تبرر وجود شركاء من المجتمع المدني وهيئات خيرية تعمل لصالح النفع العام يعتبر الانتشار والتغلغل في أوساط المجتمع مكسباً وغاية لها.

وأما فيما يتعلق بالنزلاء: فلا شك أن توفير حاجيات أسرهم وتعزيز استقرارها سيكون له الأثر الطيب على مستوى تفاعلهم مع البرامج المقدمة لهم والتزامهم بالقوانين والأنظمة الداخلية للمؤسسة.

وهو ما سينعكس لا محالة على مستوى استفادتهم من برامج الإصلاح المقدمة لهم والتي بدونها لا يمكنهم الخروج أفراداً صالحين وفاعلين في مجتمعاتهم.

وضماناً لوضوح أهداف هذه المبادرة وضبطاً للسياسة المتعلقة بتنفيذها ومدى ارتباطها بالاستراتيجية العامة حددت القيادة وفقاً لمنهجية إعداد الخطط الاستراتيجية هدفين أساسيين يعتبر تحقيقهما مؤشر نجاح على مستوى الإنجاز.

يتعلق الأول منهما باستقرار أسر النزلاء طبقاً لآلية تدريبهم وتأهيلهم من أجل ريادة المشاريع الصغيرة التي تسمح لهذه الأسر

رعايــة أبنائهــا مــن الناحيــة النفســية والاجتماعيــة وتــوفير متطلبــات استمرارهم في التعليم والحد من انحرافهم.

وهــو الهــدف الــذي يســمح باســتخدام المخصصــات الماليــة الــتي كانــت تصــرف عــلى هــذه العــائلات للمســاهمة في أمــن المجتمــع ودعــم بــرامج إصــلاح الــنزلاء وتــأهيلهم وإعــادة دمجهــم وتــوظيفهم بعــد الإفــراج فضــلاً عــن دعــم الأنشــطة الاجتماعيــة والنفســية الــتي تــوفر الاستشــارات اللازمــة في الوقــت المناســب لمعالجــة الخلافــات الأسريــة قبــل تفاقمهــا ومــا يترتــب عــلى ذلــك مــن تفكــك وانحــراف ســلوكي للأبنــاء يقــودهم إلى الاعتــداء عــلى الممتلكــات والأرواح والارتمــاء في كنــف العصــابات الإجراميــة المتطرفــة الــتي تشــكل خطــراً عــلى أمــن المجتمــع واســتقراره وغيرهــا مــن الســلبيات الــتي تســعى المبــادرة إلى قطــع الطريــق عليهــا وتجفيــف منابعهــا خدمــة للهــدف الاستراتيجي لوازرة الداخلية بتعزيز الأمن والأمان.

وأمــا الهــدف الثــاني فهــو تعزيــز رضــا أسر الــنزلاء عــن الخــدمات المقدمــة لهــم مــن القيــادة: كتــوفير خــدمات ذات مخرجــات عاليــة الجــودة تفــوق تطلعــات هــذه الأسر وآمالهــا مــن قبيــل هــذه المشــاريع التجاريــة الصــغيرة الــتي يــتم تأسيســها حســب ميــول هــذه الأسر

وإمكانياتها وخبراتها المهنية إن وجدت ضماناً لإقبالهم عليها وترغيباً لهم فيها.

حيث تخرج هذه الأسر في النهاية أسراً منتجة وفاعلة اقتصادياً مما يساهم في شعورها بالأمان ويضمن تعاونها البناء في تقويم سلوك أبنائها من النزلاء ويسهل من إعادة دمجهم في المجتمع وهو ما يرتبط بالهدف الاستراتيجي لوزارة الداخلية المتمثل في تعزيز سعادة المتعاملين بالخدمات المقدمة.

بل وأكثر من ذلك فإن هذا التوجه يصب أيضاً في دعم مبادئ هيئة الأمم المتحدة بتمكين المرأة وتعزيز تعليمها وتدريبها المهني وكذلك تعزيز وصولها إلى مصادر التمويل والموارد الإنتاجية الأخرى.

وحتى نضمن تمام الانسجام مع منهجية القيادة العامة المعتمدة بخصوص إدارة وتقييم المشاريع التزمنا بإعداد خطة واضحة المعالم لفريق هذه المبادرة على مدى ثلاث سنوات بصورة مرحلية وفق إطار زمني للتنفيذ على النحو التالي:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة التقييم والتي تتضمن حصر أسر النزلاء ودراسة حالتهم الاجتماعية من طرف الأخصائيين وتحديد ميولهم المهنية وتصنيفهم طبقاً لذلك، بالإضافة إلى تحديد الأسر

المنتجة ونوع منتجاتها ومهارتها التي ستتم تنميتها وتطويرها وكذلك الأسر غير المنتجة والتي سيتم تدريبها لإكسابها الخبرات المهنية اللازمة وفترتها الزمنية من 2015/2/5 إلى 2015/5/16

والمرحلة الثانية: وهي مرحلة التصميم والإنشاء والتي تتضمن تحديد السيدات اللواتي سيتم تدريبهن بحسب ميولهن المهنية وإعداد خطة تدريبية لذلك بما فيه تحديد أماكن التدريب المناسبة، وتوفير النقل الملائم لتوصيل المنتسبات ومصاريف الدورات والدعم المادي للأسر خلال انشغالها بالتدريب، وتحديد الاحتياجات اللازمة لتشغيل المشروع من موارد بشرية وتقنية ومالية ومعرفية، بالإضافة إلى وضع اللوائح والإجراءات اللازمة لسير عمل المشروع والتنسيق مع الشركاء لتوفير الاحتياجات وفترتها من 2015/5/16 إلى 2015/7/17.

أما المرحلة الثالثة: فهي مرحلة التنفيذ والتي تتضمن البدء بعقد الدورات التدريبية حسب الخطة الموضوعة والإطار الزمني المحدد وتنفيذ خطة معارض منتجات الأسر المنتجة على مستوى القيادة والمشاركة بالمعارض التي تنظمها الدوائر الأخرى، والتواصل مع الدوائر الاقتصادية لاستصدار رخص مزاولة المهن

مــن المنــازل وكــذلك متابعــة هــذه المشــاريع عــلى المــدى البعيــد وفترتها الزمنية من 2016/1/23 إلى 2017/6/16.

المرحلـــة الرابعـــة: وهي مرحلـــة المراجعـــة والتحســـين الـــتي تتضــمن مراجعــة وتقيــيم الخطــة للتأكــد مــن نجاحهــا في تحقيــق مســـتهدفاتها أو إعـــداد خطـــة عمـــل (2018-2020) بالتنســـيق مـــع الشركاء وفترتها الزمنية من 2017/6/17 إلى 2017/12/31.

كمــا تــم تحديــد مهــام ومســؤوليات وصــلاحيات أعضــاء فريــق المبادرة من خلال اتباع منهجية إدارة وتقييم فرق العمل.

أمــا فيمــا يتعلــق بــالتخطيط المــالي للمبــادرة وتحديــد تكلفتهــا الماديــة والفوائــد والعوائــد المرجــوة منهــا وفقــاً لمنهجيــة تحديــد المــوارد الماليــة فقــد تــم وضــع خطــة ماليــة لتنفيــذ هــذا المشــروع وتــم تخصــيص ميزانيــة وتــوفير مــوظفين وذلــك وفقــاً لكــل مرحلــة وتحليــل الكلفــة الماليــة الــتي بلغــت (35000) درهــم لجميــع المراحــل موزعــة على النحو التالي:

- تجهـيز المرافـق: قاعـات- مـواد أوليـة للتـدريب- مكافـآت لـلأسر المشاركة (25000) درهم.
- مكافآت لخبير المشاريـع: (5000) درهم.
- مصاريف أخرى: (5000) درهم.

وتم تحديد الفوائد والعوائد إثر تنفيذ المبادرة ومنها:

1. حصول الأسر المنتسبة للبرنامج على عائد مادي (98000) درهم سنوياً يسد بعض حاجياتها.
2. تقليص التكاليف المالية التي تصرفها القيادة على الأسر بنسبة 80% حيث تم تسديد حاجيات الأسر من خلال الريع المادي لهذه المشاريع.
3. استخدام الموارد المالية التي كانت تصرف لرعاية أسر النزلاء في تطوير البرامج الإصلاحية والتأهيلية لتقويم سلوك النزلاء أو إعادة دمجهم في المجتمع.
4. توفير فرص عمل للنزلاء المفرج عنهم والذين تعذر عليهم الحصول على وظائف بسبب صعوبة الحصول على شهادة حسن السيرة والسلوك وعدم توفر مؤهلات وظيفية لديهم.
5. تقليص البطالة بين أفراد المجتمع من خلال إتاحة الفرص للمفرج عنهم وذويهم للعمل بهذه المشاريع التي ستدر عليهم موارد مالية متنامية.

غير أننا لم نقتحم هذا العمل جزافاً ودون تخطيط بل رصدنا كل الوسائل الممكنة وتوقعنا الصعاب والتحديات والنتائج

ولهـذا وبنـاءً عـلى آليـات العمـل المعمـول بهـا والـواردة بـدليل إدارة الأداء المؤسســي والخاصــة منهــا بالمراجعــة الدوريــة للمــؤشرات والمبـادرات والمشـاريـع، قمنـا في المؤسسـة بحصـر وتقيـيم المخـاطر ودرجاتهـا وحصـر نقـاط الضـعف المرتبطـة بعمليـة تنفيـذ المشـروع، حيث أظهر التحليل تحديين أساسيين هما:

التحــدي الأول: نقــص الــدعم المــادي للمشــروع بســبب عــدم ضمان سرعة استجابة الشركاء لدعم المبادرة.

والتحـدي الثـاني: عـدم تقبـل بعـض أسر الـنزلاء لفكـرة المشـروع وذلك لعدم وعيهم بأهميته.

وقد تبين من التحليل أن التحدي الأول تأثيره كارثي على المشروع.

والتحــدي الثــاني احتماليــة حدوثــه متوســطة، وهــو مــا دعانــا للإجراءات التالية:

- قامـت المؤسسـة بهـدف تحييـد التحـدي الأول بالاعتمـاد عـلى إيــرادات مركــز الأعمــال الخــاص بالمؤسســة لــدعم هــذا المشروع.
- وبخصــوص التحــدي الثــاني قــام فــرع الرعايــة الاجتماعيــة بالمؤسســة بتنظــيم زيــارات ميدانيــة لأسر الــنزلاء وتــوعيتهم

بأهمية الانخراط في مثل هذه البرامج المقدمة لهم وهو ما أدى إلى خفض درجة الخطر من عالية إلى متوسطة.

وفضلاً عن هذا تم وضع مؤشرين للقياس وهما: عدد الشركاء وعدد الأسر المستفيدة.

وأما فيما يتعلق بمبدأ الاستفادة من مستجدات المعرفة والممارسات الحديثة في التخطيط للمبادرة، إضافة إلى المقارنات المعيارية فقد حرصت القيادة على الاستفادة القصوى من المستجدات المعرفية والممارسات الحديثة للتخطيط للمبادرة حيث تم التنسيق مع مركز "رواد" التابع للدائرة الاقتصادية بالشارقة لدعم الأسر في إعداد دراسة جدوى المشاريع وتولي الرقابة عليها ومتابعتها والمساعدة في وضع الخطط لمواجهة المخاطر التي قد تنشأ أثناء تنفيذها وتوجيه مديريها حسب الحاجة طبقاً للإدارة الحديثة للمشاريع المعتمدة وتهيئة الأسر للإدارة المالية للمشاريع من حساب التكاليف وتقدير الأرباح إلى كيفية التعامل مع المنتجات التي لم يتم بيعها.

ووفقاً لمنهجية المقارنات المعيارية أعد فريق العمل خطة للاطلاع المستمر والاستفادة من المستجدات والأساليب المتطورة وتوظيفها في عملية التخطيط.

كما حرصت القيادة على الاستفادة من دائرة الخدمات الاجتماعية في الشارقة في كيفية تنظيم المعارض للأسر المنتجة أو إدارتها بالشكل والأسلوب الذي يخدم التسويق للمشروع والحرص على قياس مدى رضا العملاء عن المنتجات والأنواع المفضلة لديهم والاجتهاد في توفير ما يفوق تطلعاتهم.

وحتى اللجنة الوطنية لرعاية السجناء المفرج عنهم وأسرهم "تراحم" بالمملكة العربية السعودية فقد كانت هي الأخرى من ضمن الجهات التي تمت الاستفادة من تجربتها في تدريب وتأهيل أسر النزلاء ودخول سوق العمل.

وكذلك مركز الإصلاح والتأهيل بالمملكة الأردنية الهاشمية، حيث تمت الاستفادة من هذا المركز في تنفيذ الدورات التدريبية الحرفية كالخياطة وصناعة المواد التجميلية التي تمارسها الأمهات من داخل البيوت.

وفي ذات السياق لم تهمل المؤسسة مسألة متابعة ومراجعة خطط عمل المبادرات وتحقيق المستهدفات والجدول الزمني المعد لها ويتم التدقيق على تلك المبادرات بشكل ربع سنوي.

وفيما يتعلق بقياس مدى الاستفادة من الأساليب الإدارية والتقنية الحديثة في تطبيق المشاريع وتقييم فاعليتها بهدف تطويرها تنتهج الإدارة بهذا الخصوص عدة أساليب من أهمها:

- أسلوب العصف الذهني وقد أثمر مقترحات منها غرس الأمل الذي يعنى بتقديم الرعاية الاجتماعية والنفسية والرياضية والتعليمية لأبناء النزلاء 2018 بالإضافة إلى رعاية مواهب من الأبناء.
- استخدام مواقع التواصل الاجتماعي لعرض منتجات الأسر ويجري العمل لتطويره ليكون متجراً إلكترونياً يتم إنجاز المهام من خلاله ويقوم بالتوصيل وقد نتج عنه تحقيق إيرادات متنامية بلغت (951000) درهم سنة 2018 مقارنة مع (392000) درهم سنة 2015.
- تطبيق دراسة الحالة على أسر النزلاء والتي يتم من خلالها تقييم حالة الأسر ودراسة الحالات النفسية للواتي ينتسبن للبرنامج.
- التكريم السنوي للمعنيين: الشركاء والأسر وفريق العمل والنزلاء لضمان التحفيز والتشجيع على الإبداع والابتكار.

إلى غـير ذلـك مـن أدوات التقيـيم والمتابعـة اللازمـة حسـب مراحل المبادرة من خلال مؤشرات ومقاييس محددة.

هـذه الاعتبـارات وغيرهـا الكثـير كانـت ضـمن المحـددات الأساسية لآلية العمل على هذا المشروع الفريد.

وقـد اسـتطعنا بواسـطتها أن نبلـور رؤيـة واضـحة وتصـوراً مبـدئياً دقيقـاً لهـذا المشـروع قصـد الـتمكن مـن إخراجـه عـلى هـذا النحو الذي يبعث في أنفسنا الفخر والاعتزاز.

وحـتى ننـأى بالقـارئ والمتـابع الكـريم عـن رتابـة الجـرد الممـل لجملـة مـن الأرقـام والمعلومـات الجامـدة حـول هـذه المبـادرة، فكرنـا بطرحهـا بأسـلوب قصصـي أدبي بالسـرد والحـوار لحيثيـات ووقـائع بـين الحقيقـة والخيـال، اسـتقينا مـا هـو جـوهري وأسـاسي مـن معلوماتهـا مـن مقـابلات حيـة ومبـاشرة تكفّلـت الأخصـائيات في مؤسسـتنا بإجرائهـا مـع أصـحاب الشـأن، لتثمـر تلـك اللقـاءات حصـيلة معتـبرة مـن المعلومـات والبيانـات شـكلت في النهايـة مـا هـو شـبيه بمـا جرى بالفعل مع هذه العائلات وهؤلاء الأشخاص.

وعليـه فالحقـائق والمعلومـات الـواردة في هـذه القصـص واقعيـة بنسـبة كبـيرة ونمطيـة الوقـائع والأحـداث والحـوارات متخيلـة بنسبة أكبر.

لكـن الهـدف الأول والأخـير هـو خدمـة فكـرةٍ خـيرةٍ مفعمـة بـالود والمحبة لجميع مكونات هذا المجتمع.

(أم هند)

شهاب جَدُّ سهيل

(أم هند)

شهاب جَدُّ سهيل

ذات مساء قائظ وبعد يوم مضنٍ من الكد والكفاح عاد شهاب كعادته إلى بيت عائلته المتواضع بحصيلة قليلة تكاد لا تغنيه وعائلته الصغيرة مؤونة تلك الليلة.

تناول ما تيسر على مائدته البسيطة واستلقى غير بعيد من والديه الكبيرين يتأمل النجوم المتلألئة ويصيخ بسمعه تارة إلى أصوات متقطعة تقتحم سكينة العريش المعزول في الحي الفقير..

بعضها لكلاب ضالة، وبعضها أنات وترانيم للعابرين في محيط العريش..

لا جديد يميز هذه الليلة عن سابقاتها من ليالي شهاب الكئيبة والواجمة دائماً .. كأن الحظ لا يريد أن يبتسم له أبداً..

أي تشاؤم هذا وأية نظرة سوداوية هذه التي تحملها نفسي البائسة، يخاطب شهاب نفسه لائماً ومعنفاً..!

متى كانت الليالي تمضي على وتيرة واحدة..؟

لا بـد أن تـأتي تلـك الليـالي الـتي تحمـل الأفـراح لهـذا القلـب المكلوم أبداً..

لا بـد أن تكـون هنالـك حلقـة أو حلقـات مضـيئة في سلسـلة هـذا العمر الكئيب..!

إلى متى يمكن لنفق هذا العمر أن يظل معتماً بلا ضياء..؟

أراهن على أن الأيام كفيلة بتغيير كل شيء.. لكن إلى أين..؟

هل إلى الأحسن أم إلى الأسوأ..؟

لست أدري..

كـلُّ مـا أعرفـه أنـني وأبـواي نعـيش بسـلام واطمئنـان، ولـولا أننـا نـرى عنـد بعـض النـاس مـا لـيس عنـدنا لمـا كـان هـذا الشـعور بـالفقر والحاجة ..!

ماذا تعني الحياة غير الأمن والصحة والمعافاة..!

صحيح أنني لا أزال غير قادر على الزواج ..

أو لماذا لا أكون صريحاً مع نفسي فأقول إنني غير راغب فيه..!

على غير عادة أترابي وأقراني في هذا الوسط..!

أليس ذلك من حقي ..؟

ألا يحق لي أن أبني عائلة وأفرح بأبنائي وبناتي..؟

طبعـاً هـذه أحـلام مشـروعة .. لكنهـا سـتظل مؤجلـة إلى حـين.. إلى أن تنفرج الحالة وتتيسر الأمور.. كيف ومتى..؟

قد يكون ذلك قريباً.. وقد يكون مؤجلاً..

بل إنه قد لا يكون إطلاقاً..

ثم فجأة يقطع شريط التفكير هذا صوت متهدج بارد..

إنه أبي يبدو أنه يناديني لحاجة ما..

أجل.. أجل أبي ماذا تريد؟

يـا لهـا مـن مفاجـأة يقـول شـهاب في نفسـه.. كـأن والـده يشـاركه نفـس المشـاعر والأحاسـيس، كأنـه التخـاطر في أنـقى تجلياتـه يتقاسـم تلك الأرواح الصافية التي ألفت القرب والود والعناق.

فقد طلبه ليستفسر منه هل هو فعلاً عازم على الزواج!

هل يفكر فيه ولماذا كل هذا التأخير..؟

أبي أنت تعلم أن الوضع غير ملائم الآن..

كيـف لي وأنـا لا أضـمن مؤونـة يـومكم أن أضـيف علـيكم عبئـاً آخر..؟

من أين لي بمصاريف الزواج وفتح بيت جديد..؟

مــن أيــن لي بكــل تلــك التكــاليف والحــال كهــذه يــا والــدي العزيز..؟

لــو تحســن الحــال وتحصــلت عــلى أي عمــل لــن يصــير إلا مــا يرضيك..

أستغفر الله .. لقد أصبحنا عبئاً عليك!..

نحــن والحمــد لله بخــير ورزقنــا عــلى الله.. لا أريــدك أن تفكــر هكذا يابني..

إن أكــبر هديــة يمكــن أن تقــدمها لنــا هي أن تفرحنــا بزواجــك، أن نرى أبناءك وبناتك. أما الأرازق فعلى الله..

أم أنك تعتقد أنك أنت من يرزقنا..!

يــا لسـذاجتك يــا بــني .. فكـر يــا بــني في كـلامي ..لـم يعـد في أعمارنـا بقية..

نريــد - إن مــنّ الله علينــا ببقيــة مــن العمــر- أن نفــرح بفرحــك.. أن نــرى أحفادنــا قبــل أن نغــادر هــذه الــدار، فكّــر في كـلامي وتوكـل عــلى الله.. هذا كل ما نتمناه..

وحـين انـتهى الوالـد مـن محـاضرة العتـاب والنصـح والتوجيـه الطويلـة واستسـلم بعـد لأُي لنـوم عميـق كمـن انـتهى مـن عمـل مضـنٍ كلفـه تلـك البقيـة الباقيـة مـن الجهـد والطاقـة، كـان شـهاب قـد أدار في ذهنـه كـل كلمـة قالهـا والـده وقلبهـا بتعقـل وهـدوء، ولأنـه لـم يتعـود إغفـال الحقـائق والحجـج الدامغـة فقـد كـان يتخيـل أثنـاء هـذا الحـوار تلك التفاصيل الدقيقة التي يمكن أن تترتب على التنفيذ.

نعم يبدو أن هذا الكلام لامس هوىً في نفس شهاب..

فقــد بــدأ بالفعــل يحــس في أعماقــه بوحشــة شــديدة وميــل لإحـداث تغيـير في روتـين أيامـه المملـة.. مـن يـدري فقـد يكـون الـزواج فاتحة خير ..

لا شــك أن تحمــل مزيــد مــن المســؤوليات ســيحتم مزيــداً مــن النشاط والاجتهاد.. لكنه أيضاً سيجلب خيره ورزقه لامحالة ..

الخير فيما اختاره الله، وفي رأي والدي بركة..

لكــن الإشــكال لا يكمــن في مجــرد اتخــاذ القــرار.. هنالــك عقبــة أخرى ليست دون اتخاذ القرار الذي طالما ترددت في اتخاذه..

مَـنْ هـذه الـتي سـترضى بي وأنـا في مثـل هـذه الحالـة مـن العـوز والحاجة..؟

لا أتصور أن بهذا الحي من ستقبلني زوجاً لها في مثل هذه الظروف..!

ولست مستعداً لسماع أن عائلة بالحي صدت أمي وكسرت خاطرها برفضي عريساً لابنتها.. ذلك موقف لا أحتمله وينبغي أن أراعيه قبل أي شيء آخر..

لم أشأ أن أفاتح والديّ بذلك لأنني أنا أكثر من يتفهم عجزهما، ولا أرضى أن أتسبب لهما في أي ضيق أو إحراج..

لأجل هذا أظهرت من سكوتي وتقاسيم وجهي ما يوحي أنني موافق على ذلك القرار وعازم على الإقدام عليه وتركت البقية للأيام.

طوال أسبوع مضى على هذا الحديث ظل شهاب يقلب الأمر ويفكر في كل الاحتمالات إلى أن استقر أخيراً على من ستكون أول من يفاتحها بالموضوع..

لم يكن الأمر على ما تصور من الصعوبة والتعقيد، فقد كان في ردها السريع تطمين زائد واستعداد تام لإتمام المسألة..

فقط عليه أن يدخل من الباب بحسب ما تقتضي الشريعة والأصول.

ولأن شـــهاب لامـــس في خطيبتـــه مســـتوىً فـــوق المتوقـــع مـــن الاستعداد والقبول لم يكن ليتردد في إخبار والديه بقراره الأخير ..

وفعـلاً كمـا أكـد والـداه كانـت التكـاليف غايـة في البسـاطة.. بـل إن أعباء المناسبة كانت كلها على أهل الحيّ الشعبي الفقير..

الكـــل ســـاعد وبـــارك وســـاهم بحســـب جهـــده واســـتطاعته.. وعمـت الفرحـة وعـاش النـاس هنالـك أيامـاً مـن الحبـور والسـعادة عـلى عادتهم في مثل هذه المناسبات..

ومـع أن الحيـاة في تلـك الفـترة كانـت قاسـية أقـرب إلى الضـيق منهـا إلى السـعة لكنهـا قسـاوة أبعـد مـا تكـون عـن التكلـف والتعقيـد والناس فيها متساوون في فرص النجاح..

لا يفاضـــلهم إلا الإرادة والســـعي والاجتهـــاد والـــوعي بأهميـــة بعض المفاتيح والأسباب.

وعـلى الـرغم مـن أن الـتعلم كـان بـدائياً وتقليـدياً إلا أن شـهاب لـم يكـن ليكلـف نفسـه عنـاء الأخـذ بـه والسـعي إليـه حـتى فـروض العـين كـان نصـيبه منهـا بالروايـة والتلقـين، يصـلي ويصـوم ويمـارس شـعائر الدين كما الناس يمارسون..

ولـه في العمـل اليـدوي اليـومي الشـاق والسـعي وراء مكسـبه مـا يشغله عن العلم والتعلم.. هكذا كان يعتقد!..

يعقوب..

انتهـت رحلـة شـهاب بفـترة وجـيزة بعـد رحيـل والديـه وخلـف أولاداً ورثـوا عنـه حـب النـاس والتعلـق بالحيـاة والعمـل، لكـن حظهـم مـن الـتعلم كـان بسـيطاً كحظـه حـتى وهـم يشـهدون طفـرة التحـول السـريع الـذي عاشـته الـبلاد عـلى عهـدهم اختـاروا لأنفسـهم مهنـاً يدوية وأعمالاً سهلةً تمجد الجسد على حساب الذهن والفكر.

أكـبر أولاده كـان يعقـوب.. والـدي.. كمـا يـروي سـهيل بعفويـة بالغـة والـدي الـذي عـاش متصـالحاً مـع وضـعه لا يريـد مـن الحيـاة أكثر مما تعطيه، ولا يناور ولا يخطط للمستقبل.

بـل إنـه كـان يعتقـد أن التفكـير في المسـتقبل هـو بمثابـة سـحب عـلى المكشـوف مـن رصـيد الهّـم والمتاعـب.. هكـذا كـان يحـدثني دائمـاً

ويقــول: إن هــذه الحكمــة هي الكــنز الوحيــد الــذي ورثــه عــن أبيــه وجده!

والحيــاة في نظــره أكــثر بســاطة ويســراً ممــا يعتقــد النــاس.. ولا تســتدعي كــلّ هــذا العنــاء والهــم إن انفرجــت وأعطــت كــان ذلــك خــيراً وأدعى للفـــرح والســـعادة و إن أمســـكت وصـــدّت فتلـــك ســـاعة ستنقضي ومقاومتها قبل الانقضاء عجلة ومحض عبث وتعب.

لأجــل ذلــك ربّمــا كانــت عائلتنــا بــين أكــثر العــائلات في هــذه الربــوع تشــبثاً بمســلكيات وأســباب الفقــر.. فتوارثنــاه كــابراً عــن كــابر كأنــه قــدرنا المحتـــوم.. وعشـــنا عـــلى هـــامش الحيـــاة راضـــين منهـــا باليســـير ولا نتطلع للتطور أو التحسن.

سهيل بين مشروعية الحلم ورعونة الأسباب..

وحــين جــاء الــدور عــلي قــررت أن أكــون نشــازاً وأن أحطــم ذلــك التقليــد البليــد، فرحــت أجــرب كــل ســبيل وكــل نشــاط بــدا لي أنــه سيخرجني وأهلي من هذه الدائرة ..

ورغـم أن هـذه القناعـة أو هـذا الهـاجس تملكـني منـذ كنـت صـغيراً وراودني حلـم الـثراء مبكـراً، إلا أنـني اكتشـفت لاحقـاً أن أهـم مـا ينقصـني لأصـبح الشـخص الـذي أريـد هـو طـول الـنفس والصـبر فقـد ولـدت ملـولاً وسريـع التقلـب والنكـوص، وخـير دليـل عـلى ذلـك أنـني لـم أتحمـل تعـب الدراسـة، فتسـربت مبكـراً برصـيد ضـئيلٍ لا يسـمن ولا يغني من جوع..

ثالـث إعـدادي هـذه الشـهادة الـتي سأكتشـف سريعـاً أنهـا تغلـق من الأبواب في وجهي أكثر مما تفتح..

فقـد طفـت بهـا بـين الكثـير مـن جهـات التوظيـف فكـان عـدم تقبلهم لها شبه متطابق..

ابتسـامةٌ عريضـةٌ تخـفي سـخريةً وانتقاصـاً، ووعـودٌ لا تتحقـق بالاتصال عليّ حين يوجد شاغر ملائم..

فهمت مؤخراً أن عليّ أن أشرب ماء شهادتي الضئيلة تلك ..

وأن أبحـث لنفسـي عـن مجـالٍ لا أتـكئ فيـه عـلى شـهادةٍ علميـةٍ لم أتشرف بنيلها أصلاً..

ولأن فـرص التوظيـف شـبه معدومـةٍ ومـا يوجـد منهـا لا يـرضي الطمـوح.. ربمـا لخلـل بنيـوي في المعادلـة الـتي طرفاهـا طمـوح كبـير جداً وشهادةٌ لا تسمن ولا تغني من جوع!..

لكـن مـع هـذا فالعائلـة كبـيرة، أبـواي وإخـوتي وأخـواتي الصـغار وأنـا الأكـبر في العائلـة، وعـليّ أن أتحمـل مصـاريف حيـاةٍ آخـذة في التضخم والازدياد..

وهـا قـد زاد الوضـع سـوءاً بعـدما تطلقـت أختـي الكبـيرة لتعـيش معنا في البيت مع ابنتيها الصغيرتين!..

أنـا طبعـاً لا أحمـل يقـين أبي بـترك الأمـور عـلى أعنتهـا والعـيش بالميسور والمتوفر!

أنا شخص مختلف تماماً.. أريد أن أتملك رزق الغد قبل اليوم ..

أريـد أن أعـيش الأبهـة والـترف كمـا النـاس مـن حـولي، ويومـاً بعـد يـوم تتضـاءل فـرص تحقيـق ذلـك الحلـم أمـامي وتتعقـد أسـاليب الحياة..

لا بـد مـن تأثيـث البيـت، لا بـد مـن مصـاريف السـيارة.. لا بـد مـن مسايرة الوسط..

أمـام كـل هـذه المطالـب وغيرهـا الكثـير ولأنـني أحسسـت أنـني معـنيٌ بهـا أكـثر مـن غـيري في هـذه العائلـة الكبـيرة بحثـت عـن ضـالتي في الثراء السريـع..

وأخـيراً يبـدوا أنـني وجـدتها في المخـدرات.. لا شيء أسـهل مـن الحصـول عـلى المخـدرات تجـارة وتعاطيـاً.. والأصـدقاء والمجربـون يثنـون عليهـا بالمـديح ويـرون فيهـا حـلاً سـحرياً لكـل هـذه الهمـوم والمشاكل..

لـم أكـن لأقتنـع بسـهولة فأنـا لا أجـد نفسـي في طريـق التعـاطي.. حتى التدخين لم أجربه في حياتي.. لكن ماذا أفعل؟

فقـد تغـيرت أحـوال وظـروف الكثـير ممـن أعـرفهم مـن وراء هـذه المـادة الملعونـة.. تمامـاً مثـل مـا سـاءت وتـدهورت أحـوال الكثـيرين منهم..

فـإلى أي الفئتـين يـا تـرى ستمضـي سـفينتي إن أنـا قـررت الدخول في هذا العالم المجهول؟

وضعت كل الاحتمالات بناء على ما أشاهده بأم عينّي بشكل يومي..

العديـد مـن متعاطيهـا يقبعـون في سـجون الدولـة، والكثـيرون مـنهم مـاتوا مـن ورائهـا، وحـدهم المحظوظـون وهـم قلـة يعيشـون في بذخ وترف حذر قد ينقلب جحيماً في أية لحظة..

وأنـا وبنـاءً عـلى حـظي الـرديء لا أعتقـد بـأني سـأكون مـن هـذه الفئة الأخيرة..

ورغـم ذلـك لـم أتـردد في خـوض هـذه التجربـة بعـدما أصـبحت شبه متأكد أنها فرصتي الأخيرة لتحقيق الحلم.

بعـد أخـذ ورد و حـوار مطـول مـع الـنفس توصـلت إلى قـرار صعب أنني سأجرب التجارة بعيداً عن التعاطي وليكن ما يكون!..

كانت البداية وئيدة ومترددة، بأشياء بسيطة وفي دائرة ضيقة.

لكـن الملعونـة كانـت مغريـة، فقـد ركبـت السـيارة الـتي أريـد ووفرت للبيت مصروفاً لم أكن أحلم بتوفيره بمثل هذه السهولة..

وكـان وقـع التحـول عـلى أهـلي مـن أسـباب تشـجيعي وانـدفاعي في هـذا الطريـق، فقـد أعمـتهم الحاجـة الشـديدة عـن السـؤال عـن مصـدر هـذا التـدفق المفـاجئ.. ربمـا لأنـني حاولـت جهـدي أن أغـطي عليـه بالأكاذيب والادعاءات ..

وظيفة جديدة.. تجارة في البحر والسيارات وغير ذلك من الأعذار والمبررات التي تطفئ جذوة التعجب والفضول في نفوس الأهل..

وهكذا وعلى وتيرة متسارعة سارت عجلة التطور الملحوظ في حياتي، وبدأ أهل البيت يستكشفون معالم جديدة للحياة لم تكن في عرفهم من قبل.. حتى أمي صارت تتابع الموضة وتتعاطى مصطلحات "كالموديل" و "الشيك" وغيرها..

كلهم مقبلون على الحياة بآمالٍ جسام.. وحدي أنا من ظل يعيش كل لحظة بترقب وتوجس وأدرك أن سقوطي سيكون قريباً وحتمياً وأن عليّ ساعتها أن أتحمل تبعات الجرأة والتفكير المتهور والتقدير الأعرج!

فعلاً لم يطل الانتظار في نظري حتى وإن تأخر السقوط لسنوات لكنها مرت عليّ سريعة كالأيام وابتلعت حلاوتها دون تذوق أو شعور.. ربما لمعرفتي ماذا سيكون بعد تلك الأيام الحلوة وما سيتكشف عنه زيف المظاهر والتستر بالأيام..

سقطتُ وكان السقوط بطبيعة الحال صعباً عليّ..

لكنه كان أصعب على أمي وأبي وإخوتي وأخواتي، فوقْعُ المفاجأة الثقيل ينضاف إلى وقْع انكشاف الحقيقة.

والعـودة إلى تجـرع مـرارة الفقـر والحاجـة سـتكون هـذه المـرة أشد بعد أن جربوا ببراءة طعماً مختلفاً وعاشوا وضعاً مغايراً..

لـم يتوقعـوا أبـداً أن وراء هـذا الـثراء المفـاجئ الـذي غـير كـل شيء في حياتهم خطراً ماحقاً يوشك أن يقلب حياتهم جحيماً لا يطاق..

لـم يتوقعـوا أن حالـة سـهيل لـم تكـن أكـثر مـن خدعـة أو سراب كظـل غمامـة صـيفية عـابرة تتـنحى بسـرعة تاركـة المجـال لأشـعة شمس حارقة..

كـان هـذا باختصـار مضـمون جلسـة حـوار مفتـوح قـال منـه الكثـير وأشـار إلى الكثـير وعجـز ربمـا عـن التعبـير عـن كثـير مـن مضـامينه ومحتـواه لكنـه سرد بعفويـة مـا اسـتطعنا كجهـة رسـمية معنيـة بعـلاج مثـل هـذه الحالـة مـن الناحيـة النفسـية والاجتماعيـة أن نبلور منه مثل هذه النقاط وهذه الأفكار.

والغايـة مـن كـل هـذا لا تقـف فقـط عـلى دراسـة الحالـة واقـتراح مـا تـراه مناسـباً مـن حلـول وعـلاج يتنـاول الشـخص المعـني أولاً- وإن كانـت هـذه هي المسـؤولية الأولى للمؤسسـة- ولكـن أيضـاً وفـوق ذلـك كمـا ستكتشـفون في بقيـة القصـة يبـدو أن التوجـه لـدينا في عـلاج مثـل هـذه الحـالات لـم يعـد يتوقـف عـلى النزيـل فحسـب، وإنمـا يطـال ذويـه

ومـن تـركهم خلفـه خصوصـاً عنـدما يكـون المعـني هـو المسـؤول الأول عــن العائلــة، فقــد صــار ضــمن المســؤوليات الطوعيــة للمؤسســة إن جــاز التعبــير أن تعــنى بهــذا الجانــب، وأن تقــدم مــا اســتطاعت مــن عــون ومســاندة لمــن يهمهــا أمــرهم ومصــيرهم بمقتضــى اطلاعهــا عــلى حالهم وظروفهم المعيشية والاجتماعية..

سند في بيت العائلة واكتشاف أم هند..

عرفنــا مــن خــلال الســرد الســابق أن لهــذا النزيــل عائلــة كبــيرة مكونــة مــن أبــوين كبــيرين وأخــوات وأخــوة صــغار وأن ســقوط ابنهــا المعيــل جــردهم مــن مصــدرهم الوحيــد الــذي تكفــل بإعــالتهم وتحمــل أعباء حياتهم..

والآن لا بد لهذه العائلة الكبيرة من مصدر للدخل ..

لا يكــفي تــركهم للإعانــات الاجتماعيــة والجمعيــات الخيريــة مــع مــا تقــوم بــه هــذه الجهــات وغيرهــا ومــا تقدمــه مــن إعانــات تــذكر

فتشكر، لكن يبقى الدخل الدائم والمصدر المستمر ضرورة لضمان حياة كريمة لأي عائلة في هذا العصر..

اكتشفت موفدة المؤسسة بعد زيارة ميدانية لهذه العائلة أن البنت الكبرى تكافح مجتهدة مع أمها بعمل منزلي بسيط يدر عائداً بسيطاً، يكاد يكون موسمياً أو لنقل ينشط بشكل مقبول خلال شهر رمضان أما في بقية العام فمردوده ضئيل وغير كافٍ.

هكذا صرحت وشرحت من غير ما تحتاج إلى دليل فكل شيء من حولها يحكي قصة صامتةً وصادمة عن العجز والحاجة ..

أبواها العاجزان وبناتها الصغيرات والوضع المتواضع لكل شيء بالبيت..

حتى نبرتها الحزينة ونظراتها التائهة التي تنبئ بخوف شديد من غدها القريب وحديثها المرتبك عمّا آل إليه الوضع بعد حبس سهيل وأم وأب وأخوة في سن المراهقة وبنات صغيرات انفصل عنهم أبوهم وتركهم للمجهول!

هذه الأسباب مجتمعة جعلت أم هند وهي تتحدث للأخصائية تجاهد نفسها لتبدو صلبة ومتماسكة رغم ما يعتريها من وجلٍ وشكٍ في كل شيء حتى في تلك النبرة المتفائلة والمطمئنة

الـتي تحاورهـا بهـا الأخصـائية لا يبـدو أنهـا تعـني لهـا الشـيء الكثـير، ربمـا لأنهـا تكلمـت كثـيراً عـن وضـعها وقابلـت أكـثر مـن جهـة ..لكـن النتـائج كانـت في الغالـب هي ذاتهـا.. وعـود وتسـويف وانتظـار لغائـب يبـدو أنـه غير قابلٍ للقدوم!..

شيء واحـدٌ سـهل مـن مهمـة الأخصـائية لمحاولـة التقـرب مـن هـذه العائلـة وخلـق جـواً مـن الثقـة والانسـجام معهـا يتعلـق الأمـر بكـون هـذه العائلـة تـدرك أنهـا في الحسـاب الأخـير لـن تخسـر شـيئاً مـن هذا اللقاء.. حتى الوقت فيه فائض ومتسع..

لـذا فالحـديث في الوضـع العـام إن لـم يفـتح بـاب الـرزق فإنـه بالتأكيد لن يسده ..

فلنتحـدث عـن كـل شيء ولنضـع النقـاط عـلى الحـروف إن لـزم الأمـر عسـى أن يكـون مـن وراء هـذا الاهتمـام الـذي فاجأنـا منفعـة غـير منتظرة.. من يدري؟!

ولماذا غير منتظرة؟

ولماذا فاجأكم؟

كانت تلك بعض الأسئلة الضمنية التي حرصت الأخصائية الاجتماعية على تمريرها في حديثها مع أم هند بهدف رفع الكلفة، وحتى تتمكن من توصيل الرسالة التي جاءت من أجلها..

غير منتظرة..

طبعاً لأن النظرة النمطية التي نحملها عن المؤسسة العقابية لا تقتضي تدخلاً من هذا القبيل.

المؤسسة العقابية في نظرنا جهة رسمية معنية بتنفيذ أحكام الحبس، أما أن تكون جهة راعية لأعمال الخير ومساعدة الأسر الضعيفة فهذا ما لم أستوعبه بعد!

كلامك صحيح أم هند تقول الأخصائية الاجتماعية ولكن ما هو غائب عنك ربّما هو أن التوجيهات السامية لأصحاب السمو والقادة قضت بتغيير العقليات والرؤى والمناهج في العمل والإدارة..

لذا فنحن لم نعد مجرد مؤسسة عقابية أو إصلاحية معنية فقط بفئة النزلاء ولكن عملنا وتفكيرنا تخطى ذلك وأصبحنا معنيين بالهم المجتمعي بشكل عام ونسعى للتدخل الإيجابي أينما

لاحت لنا الفرصة أو تبين لنا أننا قادرون على فعل ما من شأنه أن يساعد على تنمية المجتمع..

التدريب..

عموماً أختي أم هند نحن اليوم هنا لمساعدتك أنت وعائلتك مساعدة قد تبدو لك في الوهلة الأولى بسيطة وغير حاسمة إذا لم تتفهمي مغزاها الحقيقي أو لم تتصوري ما يمكن تحققيه من ورائها من مكاسب.. سنعرض عليك جملة من المقترحات في البداية وعليك أن تحددي موقفك منها لأن ذلك ما يتوقف عليه نجاحنا في المهمة من عدمه..

سمعتِ عن مؤسسة الشارقة لدعم المشاريع الريادية "رواد"؟

أم هند: لا .. يعني!

هذه مبادرة خيرية ترعاها الدائرة الاقتصادية وهي موجهة خصيصاً لمن هم في مثل ظروفك، الغاية منها تدريب المنتسبين لها على إقامة المشاريع الصغيرة وتعليمهم فنون إدارة هذه

المشـــاريع بأســـاليب غايـــة في البســـاطة والوضـــوح، سنســـاعدك في البدايـة عـلى دخـول دورة مـع هـذه الجهـة وستكتشـفين بنفسـك كـم أنها ستكون تجربة مفيدة!..

كانــت تقاســيم وجــه أم هنــد في أثنــاء هــذا الحــديث مبهمــة وباهته..

تـارة تـوحي بـالتفهم والقبـول وتـارة تـنم عـن مجاملـة ومسـايرة لا غـير.. فالشـرود والتفكـير في المجهـول هـو مـا تفسـره ملامـح وجههـا المبهم معظم الوقت ..

تــدرك الأخصــائية ذلــك وتعــرف أن محاولــة الإقنــاع في مثــل هذه الحالة تستحق مزيداً من الجهد والوقت..

لا، لا نطالبــك بــالرد الآن ولا اليــوم ســنعطيك مجــالاً كافيــاً للتفكير..

كـل مـا نطلبـه منـك هـو أن تفكـري جيـداً وتغلـبي مصـلحة العائلـة والبنـات وأن تـدركي أن العمـل في النهايـة مهمـا كـان لا بـد وأن يجلب مصلحة ومنفعة..

أم هنـد لا خـلاف أنـا لا اعـتراض لي عـلى العمـل، بـل بـالعكس أرحب بأي عمل شريف نكسب من ورائه أي مكسب لكن العمل..

في مثل هذه المشاريع التي تتحدثين عنها يتطلب رأس مال وخبرة وأنا لا أملك واحدة من الاثنتين!!..

لا تحملي همّ الخبرة ورأس المال.. بل لا تحملي همّ التسويق والترويج.. ستقدم لك المؤسسة كل الحلول..

هنا انطلقت أسارير أم هند وبدأت تتابع كلام الأخصائية باهتمام أكثر..!

إذا كان الموضوع كذلك فأنا رهن إشارتك..

تكللت المهمة التمهيدية للأخصائية بالنجاح وعادت أدراجها لترتيب الاستعدادات للجولة القادمة مودعة أم هند وأمها وبقية أفراد العائلة على أمل اللقاء بهم في القريب العاجل..

أم هند: ماذا تعتقدين أمي؟

هل من فائدة ترتجى من هذه التي تسمي نفسها أخصائية اجتماعية؟

الله أعلم.. دعي ذلك للأيام.. قد لا يكون أكثر من دعاية وكلام كالذي سمعناه قبلها.. وقد تكون صادقة وجادة فيما زعمت المهم أنها لم تضرنا قطعاً فعساها تنفعنا..

ويستسلم البيت وأهله من جديد لنوبة من الترقب والانتظار تكاد الهواجس والأفكار السلبية تملأ أذهانهم وقلوبهم حينما تكون لها الغلبة على الآمال المتفائلة، وحين تكون الغلبة لهذه الأخيرة تعم السكينة وترتسم البسمات على الثغور، ويعيش الجميع في دعة وسكون.

لكن يبقى الأمل في الانفراج دائماً هو ضمان الصمود وعدم الركون إلى اليأس والإحباط..

تلك المشاعر التي تقود إلى الفشل معلنةً بداية النهاية للإنسان ..ولا فرق ساعتها بين أصناف النهاية أكانت على مستوى الروح كالرضوخ المطلق والاستسلام، أو على مستوى العقل كالجنون والهيمان، أو على مستوى الجسد كالموت والفناء..

أمـا مـع أم هنـد وأمهـا يمكـن أن نقـول إن تلـك الزيـارة قـد أعطتهما جرعـة مـن الأمـل وولـدت في نفسـيهما حـافزاً جديـداً للتعلـق بالحياة ..

حتى ولو لم يكن هنالك شيء ملموس..

حـتى ولـو بـدا الكـلام وعـوداً نظريـة بخلـق قـدرة ذاتيـة عـلى الاسـتثمار والإنتـاج، فـإن مجـرد هـذا الحـافز يعتـبر بحـد ذاتـه مـدعاة للتعلـق بحلـم النجـاح والعـودة التدريجيـة إلى مسـتوى مقبـول مـن العيش والحياة..

عمومـاً لقـد مـرت الأيـام سريعـة وخاطفـة ووجـدت أم هنـد نفسـها مـن غـير أن تشـعر منهمكـة في دورة نظريـة تدريبيـة عـلى إدارة المشـاريع الصـغيرة.. تمامـاً مثلمـا وعـدتها الأخصـائية الاجتماعيـة في أول لقاء..

أية مشاريع وأية إدارة وأم هند بالكاد تملك قوت يومها!..

لا، لا هـذا السـؤال مؤجـل بـل غـير مشـروع الآن.. عـليّ أن أمضـي في هـذا الطريـق إلى نهايتـه.. فطالمـا أنـني قـد دخلـت مـع هـؤلاء الناس في هذه اللعبة فعلي أن أكملها ..

لـم ألاحـظ أي خلـل حـتى الآن فيمـا وعـدوني بـه وحثـوني عليـه.. البدايـة مـن الـدورة وهـا أنـا عـلى وشـك إنهائهـا.. وحـين تنـتهي عـلي أن أنتظر ماذا بعد.. هذا هو التفكير السليم وهذا ما يقتضيه الالتزام..

لـــم ينقطـــع الاتصـــال بـــين أم هنـــد والمؤسســـة عـــن طريـــق الأخصائية ..

زيارات مباشرة أو اتصال مستمر ينم عن متابعة واهتمام.

أم هند والعائلة في الملتقى الأسري لزيارة سهيل..

أصـــبحت المؤسســـة حريصـــة عـــلى توجيـــه الـــدعوة لأم هنـــد وعائلتهـا في كـل المناسـبات الـتي تقيمهـا لصـالح المجتمـع الخـارجي.. فقـد بـدأوا يسـمعون لأول مـرة عـن الملتقيـات الأسريـة وهنـاك دعـوة رسـمية مـن المؤسسـة لجميـع أفـراد العائلـة في مناسـبة قريبـة مـن هـذا القبيـل سـيلتقون خلالهـا بسـهيل في المؤسسـة خـلال حفـل عشـاء فخم يضم العديد من العائلات من داخل الدولة..

وحين سألت الأخصائية أم هند بعد أول لقاء من هذا القبيل لاحظت مستوىً عالياً من الارتياح والانشراح لهذا اللقاء ..

لقد كان فوق المتوقع.. لقاء مفتوح في جو هادئ وجميل بين سهيل وجميع أفراد العائلة.. شعور بالسعادة فوق الوصف كما صرحت أم هند كان له انعكاس طيب وصدى جميل ليس على العائلة فحسب وإنما على النزيل نفسه فرغم ظروف الحبس بدا سهيل لأول مرة أكثر انشراحاً وارتياحاً وعرفاناً بالجميل للمؤسسة والقائمين عليها على هذا الاهتمام وهذا الأسلوب الراقي في التعامل.. وقال إنه أصبح بعد هذا اللقاء أكثر اطمئناناً على أسرته بعدما لاحظ وسمع..

حتى وإن صادف أن هذا اللقاء تم في بداية مرحلة التواصل مع العائلة وخلال الخطوات الأولى من تنفيذ الاستراتيجية الجديدة لخطة مبادرة "سند" .. فالأخت لا تزال في أول دورة إعدادية أرشدتها إليها المؤسسة وتكفلت برسومها، لكن الانطباع العام يفسر أهمية هذا المجهود الذي تعتزم المؤسسة تنفيذه مع هذه العائلة النموذج..

في القريب العاجل سيكون هنالك لقاء مشابه مع اختلاف بسيط في وضعية العائلة حين ستبدأ أم هند أول نشاط رسمي في إطار المبادرة.

انطباع ثانٍ تولد لدى أم هند بعد تخرجها من أول دورة دخلتها.

حول إقامة المشاريع الصغيرة..

فبعد جلسة مغلقة مع النفس، جلسة أشبه ما تكون بجرد المحاصيل أو تقييم الأداء والنتائج خلال المرحلة المنصرمة، توصلت أم هند إلى قناعة شديدة بمثل هذه الدورات.. ولم تعد تفوت فرصة للالتحاق بها بحماسة زائدة واستعداد تام حتى لو كان ذلك على حسابها الشخصي..

فعلاً لقد حصل تغيير جذريٌّ ليس في الرصيد المعرفي في هذا المجال فحسب، ليس في الخبرة والقدرة على إتقان هذا النشاط فقط، وإنما أيضاً في طبيعة التفكير.. في النظرة إلى الحياة بوجه عام..

لم تعد أم هند أم هند القديمة التي لا ترى أبعد من أرنبة أنفها والتي لا تتقن أي نمط من أنماط التعامل مع الناس ..

لقد بدأت تحس باختلاف على مستوى الشخصية والأسلوب يعود الفضل فيه بطبيعة الحال إلى تلك الدورات التمهيدية التي دخلتها.. لذا لا مانع لديها الآن من الانخراط في المزيد من الدورات، بل إنها شديدة الرغبة والحماسة في ذلك.

لم تخف ذلك عن الأخصائية فكان من أول ما تستفسر عنه عند لقائهما هو موضوع الدورات وفعلاً كان ذلك عنصراً مهماً من عناصر النجاح والتوفيق مع هذه الشخصية المتميزة والذي بعث الاطمئنان في نفوس أصحاب المبادرة والقائمين عليها إلى أن الأمور تسير في الاتجاه المطلوب..

ولأن البداية العملية للدخول مع أم هند قد دقت ساعتها وأصبح الوقت مناسباً لها بشكل كبير كان على الأخصائية أن تشجعها على التحلي بالثقة وتوقع النجاح في أي خطوة تقوم بها في هذا المجال..

أم هند تباشر مشاريعها الصغيرة..

لا داعي لهجـر النشـاط القـديم ذلـك النشـاط الـذي انطلقـت منـه أم هنـد مـع أمهـا حـتى قبـل التواصـل مـع المؤسسـة، يتعلـق الأمـر بالمـأكولات الشـعبية التقليديـة الـتي كـانوا يعـدونها في البيـت وتلـقى رواجاً مقبولاً في شهر رمضان حصرياً..

علينـا أن نواصـل نفـس النشـاط وسـيكون الـدعم في البدايـة بعـد رفـع مسـتوى التمويـل عـلى التسـويق والعـرض في المعـارض الخارجية التي تحضرها المؤسسة رعايةً أو مشاركةً..

كانـت النتيجـة الأوليـة مشـجعة للغايـة فقـد باعـت أم هنـد في أول مشـاركة كميـة معتـبرة لـم تكـن تفكـر ببيعهـا في يـوم مـن الأيـام نظـراً للمكان والمناسبة والحضور الجماهيري الكبير!

هذا شيء جميل.. هذا أول الغيث..

ورغـم أن أم هنـد كانـت مرتاحـة للحصـيلة الـتي ترتبـت عـلى أول مشـاركة وبـدت مسـتعدة للتركـيز أكـثر عـلى هـذا المجـال، إلا أن هـذا لم يكن ليرضي طموح أصحاب المبادرة..

لماذا لا ندخل مجالاً آخر ما دام موضوع المأكولات الشعبية مرتبطاً بالمناسبات والفرص العارضة؟

مثل ماذا.. تقول أم هند؟

هنالك أمور سوقها رائجة على مدار العام وهي التي ينبغي التركيز عليها أكثر مثل الدخون والعطور .. مثل فن الحياكة "الكروشيه" تطريز الملابس والتفنن في تزيينها وتفصيلها، هذه هي التي نسميها المشاريع الصغيرة والتي نتوقع من دخولها وإدارتها بشكل صحيح ربحاً مغرياً لا يمكن أن نندم عليه.

فكـرة ممتـازة تقـول أم هنـد في نفسـها.. كيـف لـم أبـادر إلى هـذا الموضـوع بنفسـي مـع أنـني أخـذت أكـثر مـن محـاضرة في إعـداد وتجهيز كل هذه الأشياء المذكورة؟

بخصـوص المـواد الأوليـة للبخـور والعطـور المحليـة والتطريـز سـتكون هـذه مهمـة المؤسسـة سـنوفرها بالشـكل والكـم المطلـوب هكذا تعد الأخصائية.

أما العمل والإتقان فعليكِ.

لـم تعـد أم هنـد تسـمي كـلام الأخصـائية وعـوداً ربمـا لارتفـاع منسـوب الثقـة والاطمئنـان، أصـبح كلامهـا التزامـات لا داعي للوجـل

لهـذا بـدأت بتجهـيز نفسـها للغـد القريـب اسـتعداداً لـدخول معترك المشروع الجديد..

وطبـيعي أن يكـون لغيـاب التـوجس والخـوف انعكـاس طيـب عـلى جـودة الأداء والإتقـان لأجـل هـذا جـاءت أول محاولـة لإعـداد البخـور متمـيزة بشـكل ملحـوظ، فقـد لاحـظ الجميـع كـم كـان العمـل متقنـاً وجيـداً وكـأن الأنامـل الـتي أعدتـه مسـلحة بتجربـة عريضـة وطويلة في الميدان..

لا..لا.. أم هند أنت فعلاً بارعة..

أم هند: البركة في الوالدة..

الوالـدة: لا والله كـل ذلـك بفضـل الله ثـم الخـبرات والمعـارف الجديدة التي اكتسبتها أم هند من التدريب مع الجماعة!!..

صـحيح .. صـحيح.. تقـول الأخصـائية لكـن لـيس هـذا كـل شيء.. يـبقى أن نوفـق في البيـع والتسـويق.. وهـذه هي المهمـة الأساسية والتي ستقيس نجاحنا الحقيقي بمقدار ما نحققه منها..

أمـا بالنسـبة لأم هنـد فلـم يعـد هنالـك مـا يـدعو للقلـق بعـدما أصـبح لـديها شـعور بـأن الأمـور تسـير عـلى مـا ترغـب وتتمـنى مـا دام أنهـا نجحـت في تخـطي العديـد مـن الصـعاب والعقبـات وطـورت مـن

خبراتها وتفكيرها بكل هذه السهولة، فهذا يعني أن ما ينتظرها سيكون أكثر بريقاً وإشراقاً.

لأجل ذلك بدأت من أول يوم تفكر في التخطيط لاستعادة ما أمكن من ميزات الأمس حين كانت الأمور على غير هذه الحالة أي أنها بدأت تستسلم لرغبة الحنين لأحلى أيام عمرها تلك الرغبة التي طالما كبحتها وكتمتها بواقعية المتبصر وعقلانية الحكيم المتفهم لأن أي شيء من حولها لم يكن ليساعد على استعادة ذلك العز القديم..

أما اليوم فقد لاحت انفراجةٌ في الأفق قد تكون بسيطة وغاية في الهزال إذا ما فكرت في تحميلها عبء أحلامها الكبيرة.. لكن مجرد حدوثها كان كافياً لأم هند لأن تفكر أو توسوس لنفسها بمثل هذه الأحلام..

مما لا شك فيه أن الوقت لم يحن بعد لأن تبوح لنفسها بما هي عازمة عليه وما هي مصرة على بلوغه، لأن أول ما تعلمت من تجربة التدريب والإعداد هو التعقل والتخطيط المتئد لكل خطوة ذات بال يمكن أن يكون لها تأثير على حياتها.. لكنها مجرد هواجس خفيه تحاول أن تتسلل خلسة من قاع النفس لتفاجأ بمكابح الكبت والكتمان التي تطورت بحكم قساوة التجربة

وصعوبة الظروف التي مرت بها أم هند.. وتكاد لا تصدق أنها في طريق قهرها والخروج منها إلى الأبد..

خلال أيام قليلة من الانطلاقة الفعلية لمشروع الطيب والبخور تنفس البيت بمجمله عبير التفاؤل بغدٍ يعد بقطيعةٍ تامةٍ مع أيام عجاف قضوها يستجدون البسمة واللقمة والأمل في الحياة الكريمة..

لقد أدرك الجميع أن شيئاً ما يوشك أن يحدث على مستوى دخل العائلة.

شيء أكثر نجاعة وفائدة ومردودية من مشروع المأكولات الشعبية التي عرفوها مصدراً وحيداً للدخل بعد القبض على سهيل وصار من المألوف أن تتلقى أم هند الدعوات للمشاركة بمنتوجاتها

في جـل المعـارض الـتي تقـام عـلى مسـتوى الدولـة وغالبـاً مـا تكـون النتيجـة المترتبـة عـلى تلـك المشـاركة مرضـية ومشـجعة.. وتشـكل حـافزاً لتحضـير المزيـد مـن المنتجـات ..والاسـتعداد الـدائم حـتى لا تفـوت أم هنـد عـلى نفسـها أيـة فرصـة تتـاح لهـا .. إضـافة إلى مـا يتطلبـه الوفـاء بطلبـات الزبـائن الخاصـين مـن المعـارف والجـيران الـذين أصـبحوا يفـدون إلى البيـت لاقتنـاء بعـض المنتجـات بالمواصفات التي يحددونها سلفاً بعد الاتفاق مع أم هند.

عـلى هـذه الـوتيرة سـارت الأمـور مـع هـذه العائلـة النموذجيـة، وصـار مـن الواضـح للجميـع كـم هـو مهـم وفعـال هـذا التـدخل الـذي قامـت بـه المؤسسـة العقابيـة والإصـلاحية عـبر برنامجهـا الخـيري (سـند) الـذي اسـتطاع أن يسـاهم في إحـداث نقلـة نوعيـة مـع العديـد مـن الأسر الـتي تقبلتـه ووافقـت عـلى الانخـراط فيـه.. حيـث تفـاوت التـأثير مـن متوسـط إلى جيـدٍ جـداً حسـب شـطارة المسـتفيدين أو إقبـالهم عـلى المشـاركة في جميـع الأنشـطة والمشـاريع المقترحـة.. وبنـاءً كـذلك عـلى بعـض المعطيـات والمعـايير المتعلقـة بـالأسرة كعـدد الأفراد والمهارة والالتزام بمسطرة العمل والتوجيهات..

ولأننا خصصنا هذه القصة لهذه العائلة بالذات نواصل في الوصف والحديث عن مسيرتها بشكل خاص، وكيف كانت قبل الدخول في المبادرة وماذا طرأ عليها بعد ذلك؟

فعلى الرغم من استمرار هذه العائلة في نشاطها القديم الذي كانت تمارسه حتى قبل تدخل البرنامج (المأكولات الشعبية) بعدما فتحت لها المشاركة مجالاً أوسع في التسويق وأتاحت لها فرصة العرض على شريحة أكبر وأوسع من ذي قبل خصوصاً في المناسبات كما تقدم معنا.

وبعد بدء النشاط الجديد ترسخت القناعة بأن لهذا العمل مردودية أكيدة، وأن ما هو مؤمل منه يمكن أن يكون شيئاً ذا قيمة، كلما حضرت الجدية والالتزام وغاب التردد والتهاون..

لم يكن لأم هند وأمها أملٌ قبل هذه المبادرة في الإنفاق على هذه العائلة بثقة تامة من مردود دخل ذاتيّ يتوقف على جهدهما الشخصي.. وها هم الأولاد والبنات الصغيرات يستعيدون ضحكة الطفولة وبراءة البسمة بعدما توفرت أو كادت كل متطلباتهم واحتياجاتهم الصغيرة من مأكل وملبس وألعاب!..

وها هو الجدول اليومي للمطبخ يسير على وتيرة شبه ثابتة دون خلل ملحوظ كما كان يحدث باستمرار في الأيام السابقة..

هـذا التغـير الإيجـابي الجديـد كـان لـه مفعـول السـحر عـلى همـة أم هنـد ونشـاطها فبـدأت تبحـث وتستفسـر عـن المزيـد مـن الأنشـطة والمشـاريـع الـتي يمكنهـا أن تـدخلها بـالموازاة مـع مشـروع البخـور والعطور.

أم هند والتوسع في النشاط..

كـان لهـا مـا أرادت حـين لاقـت تجاوبـاً سريعـاً مـن المؤسسـة الـتي ارتـأت لهـا أن تضـيف إلى قائمـة أنشـطتها مشـروع (الكروشـيه)

الحياكة والتطريز بوصفه مجالاً قابلاً للإبداع ويتوقف نجاحه ومردوديته على خبرة وشطارة من يمارسه.

وبالفعل دخلت في هذا المجال بذات الجدية والتركيز والإقبال فكانت لها لمسة متميزة واستيعاب سريع لفنونه وأسراره، الأمر الذي خول لها أن تصبح مدربةً معتمدةً في هذا المجال، وأضاف إلى دخلها الدائم زيادة معتبرة جعلتها ترتقي خطوة على سلم تحسن الحال..

وهو ما سينعكس لا محالة على العائلة الكبيرة ويعطي فوق ذلك مؤشراً جيداً على نجاح المبادرة ويقدم القدوة الحسنة لعديد الأسر التي لا تزال غير مقتنعة بهذه المشاريع.

أو لنقل بعبارة أدق إلى أولئك الأفراد أو تلك العائلات التي لم تتجرأ على كسر هاجس الخجل من العمل اليدوي البسيط وفضلت الاعتماد على المساعدات المباشرة والتظاهر بعدم الحاجة..

والحقيقة أنه لو أن كل فرد أو كل عائلة في مثل هذه الظروف تفكر بنفس الطريقة التي تفكر بها أم هند ومثيلاتها العديدات لما كان هنالك من تأثير كبير على العائلات التي تعاني من غياب المعيل لأي سبب من الأسباب ما دامت تضم أشخاصاً على

استعداد للعمل واكتساب المهارات في أي جانب خدمي مهما كان بسيطاً خصوصاً عندما تتوفر بيئة مساعدة وجهات مجتمعية حريصة على تقديم يد العون للمتعثرين بأسلوب يضمن لهم الاعتماد على مجهوداتهم الشخصية...

وربما كان من المناسب هنا أن نشير إلى أن الفكرة الجوهرية التي تقوم عليها مبادرة سند هي تحفيز الملكات الكامنة في الأشخاص والتي تختبئ تحت عدم حاجة أصحابها إليها نظراً لوجودهم في ظروف معينة تغنيهم عن اللجوء إلى هذه الخبرات والاستعانة بها كضرورة للحياة لكن وبحكم تغلب الظروف وحقيقة أن الإنسان يظل عرضة للانتقال من حال إلى حال مغايرة تماماً فإن الضمان الذي أودعه الله في سر تكويننا أو المزية التي بفضلها نستطيع مسايرة ظروفنا مهما تقلبت وتغيرت هو أن لدى كل واحد منا الكثير من القدرات الكامنة التي يمكن اللجوء إليها وسيلة للبقاء على قيد الحياة.

فعندما تتوافر تلك الظروف التي تستدعي الاستنجاد بمثل هذه المؤهلات والملكات ساعتها يكون من المناسب أو من حسن الحظ حضور جهة واعية مدركة لهذه الحقيقة يتمثل دورها في

تلمس واستكشاف هذه القدرات وتحفيزها على الخروج للواقع من أجل خدمة أصحابها.

فعندما تجردت أم هند- على سبيل المثال- من أهم أسباب الدعم والمساندة:

الأخ المسجون والزوج المفارق، كان من المفيد لها أن تكون ضمن دائرة اختصاص أصحاب مبادرة سند لدعم أسر النزلاء هؤلاء الذين استحثوها على اكتشاف مهاراتها وخبراتها في العديد من الأنشطة والمجالات التي ظهر بجلاء إمكانية اعتمادها عليها كخبرات وقدرات مكنتها- بعد جهد قليل من الإرشاد والتقويم- من الاعتماد عليها وسيلة للكسب والعيش.

وحتى إن كانت الحاجة أم الاختراع كما يقال فإن توافر ظروف معينة يبقى مناسباً ليضيف إلى سطوة الحاجة نوراً يهتدى به في طريقة الإبداع والإنتاج..

وهذا بالضبط هو ما يلخص دور هذه المبادرة هنا حيث استطاعت تحريك كوامن القدرة على الخلق والإنتاج، وذلك بالعمل المدروس على صقل المواهب وتخليصها من شوائب الكسل والاستسلام والخوف من الفشل، وتحريضها على البذل والعطاء ومواجهة الواقع بروح التحدي والثقة المطلقة بالنفس.

وحتى إن سجلت هذه المبادرة بعض الصعوبات والإخفاقات في حالات معينة فإن ذلك لا يعني سقوطاً أو فشلاً للتجربة بمجملها بل على العكس من ذلك تماماً فإن كل تعثر يعتبر درساً مفيداً، ويبين عدم توفيق خطوة أو قرار معين ليحرص أصحاب المبادرة على تجنبه مستقبلاً، والاعتماد على بدائل تأخذ بعين الاعتبار ما فيه من أخطاء وسلبيات، وتبني على ما فيه من إيجابيات ونقاط قوة.

اعتراف..

عموما يمكننا الجزم هنا أن تجربة سند مع أم هند كانت من أنصع التجارب وأدلها على صواب النهج وأهمية الاستمرار فيه والعمل على تحسينه وتطويره..

مرد ذلك أن نظرة تقييمية لحالة هذه الأسرة تأخذ بعين الاعتبار وضعها قبل التدخل وبعده تعطي انطباعاً واضحاً بنجاح باهر يشجع بقوة على ضرورة الاستمرار.

فها هي أم هند بعد جولة طويلة من التدريب والتطبيق والمران المفعم بالجدية والمثابرة تخرج لتعترف علناً أنها ممتنة

أشد الامتنان لكل من مد لها يد العون وساعدها من أول يوم على خلع عباءة الاتكال ومهد لها درب الاعتماد على الذات، ولتعلن أيضاً أنها ممتلئة قناعة من أن كل سيدة في وضعها تستطيع أن تكون مثلها أو أحسن منها إذا ما أدركت أن في الحركة بركة، وأن العمل مهما ضؤل مردوده يظل أفضل بكثيرٍ من التسول وانتظار الهبات والمعونات، وأن هذه الأعمال البسيطة التي ينظر إليها الكثيرون بعين الانتقاص هي في الواقع على النقيض من ذلك تخفي وراءها مكاسب جمة وعظيمة، يكفي من عظمتها أنك بفضلها تستطيع الخروج إلى المجتمع بهامة منتصبة ورأس مرفوع.

أما إذا وَصفتُ لكم ذلك الشعور والإحساس الذي تملكني مقارنة بما كنت عليه قبل خوض هذه التجربة فقد لا أجد أبلغ من القول إن جذوة الحياة كانت عندي ممزوجة بطعم الخوف والقلق ثم أصبحت بعد أن اكتشفت ذاتي وقدراتي مع هذه التجربة ممزوجة بطعم الرجاء والأمل..

لقد أضافت لي هذه التجربة العديد من الصفات والمميزات فلم أعد بموجبها مجرد عالةٍ مستهلكة أنتظر اليد التي تمتد لي، والتكاليف والتعليمات التي علي أن أنفذها دون أي مراجعة أو تفكير، تملكت قراري وأصبحت أقدِّر ما عليّ القيام به وأحسب

لكـل خطـوة مـا يترتـب عليهـا تركـاً أو إتيانـاً، لـيس لأني تحملـت مسـؤولية البيـت بعـدما تقـدم مـن ظـروف ولكـن لأن مسـتوى الـوعي عنـدي قـد ارتفـع كثـيراً وصرت مهتمـة بحسـاب المواقـف والأفعـال أكثر بكثير من ذي قبل..

لا أعتقد من الآن أنني سأرضى أن أكون عالةً على أحد..

ولا يمكـن أبـداً أن أستسـلم للكسـل والخمـول مـا دمـت أجـد في نفسـي طاقـة وقـدرة عـلى العمـل، حـتى إذا عـاد أخي وأخـذ زمـام المبـادرة فلـن أرضى بأقـل مـن الاجتهـاد في العمـل والكسـب الشـريف، لـن أجـد حرجـاً في ممارسـة أي نشـاط يـدوي أتطلـع مـن ورائـه لسـد ثغـرة وبلـوغ حاجـة بعـدما شـاهدت مـن قيمـة العمـل وفضـله عـلى الإنسان مادياً ومعنوياً.

وأسـتطيع الآن أن أقـول إنـني تجـاوزت أهـم عقبـات البنـاء والإعـداد النفسـي والمهـني المطلـوب لمقارعـة الظـروف ومواجهتهـا بمنـتهى الموضـوعية والعقلانيـة، وأعتـبر أنـني خضـت تجربـة غايـة في الإيجابيـة ووضـوح الرؤيـة، ولا يسـعني بنـاءً عـلى ذلـك إلا أن أتقـدم باسـمي وباسـم كـل مسـتفيدةٍ منهـا بخـالص الشـكر والامتنـان لكـل مـن سـاهم فيهـا مـن قريـب وبعيـد، ولسـت أشـك مطلقـاً في أن القـائمين عـلى هـذه التجربـة يـدركون تمـام الإدراك أن مجهـوداتهم لـم تـذهب

سـدىً، وأنهـم قـدموا لهـذا المجتمـع مـن خـلال هـذه الفئـة خدمـة جليلـة سـيكون لهـا صـداها وتأثيرهـا البـالغ عـلى النهـوض بقيمـة المجتمـع ومكانتـه بـين المجتمعـات، لقـد تحقـق عـلى أيـديهم إنجـاز أقـل مـا يوصـف بـه أنـه إنجـاز غايـة في النبـل والإنصـاف وأعطـوا للبشـرية مثـالاً عـلى سـعة الأفـق وحـب الخـير للآخـر بتدشـينهم لهـذه التجربـة الرائـدة الـتي أنقـذت وسـتنقذ العديـد مـن العـائلات وعـززت في النفوس مبدأ الاعتماد على الذات وحب العمل ونبذ الاتكال...

اعـتراف متوقـع وعرفـان بالجميـل منتظـر مـن هـذه الإنسـانة الرائعـة الـتي سـاهمت باجتهادهـا وأريحيتهـا في إنجـاح هـذه التجربـة الرائـدة تمامـاً مثلمـا سـاعدت نفسـها وأسرتهـا عـلى الخـروج مـن محنـة الاتكاليـة والحاجـة، فاسـتحقت قصـتها أن تقـدم مثـالاً عـلى جـدارة هـذه المبـادرة بـالظهور للعلـن كمبـادرة أو برنـامج يحـق للقـائمين عليـه أن يفخروا به إنجازاً رائعاً للتاريخ ..

فهـل في النمـاذج الأخـرى مـا يسـتحق منّـا التوقـف عنـده درسـاً صالحاً للعرض في هذا المقام..؟

سند

والتأثير الإيجابي المزدوج

سند

والتأثير الإيجابي المزدوج

"حياة الناس ليست رهناً بما يريدون، وليست مستجيبةً لما يُقَدِّرون، وإنما هي أمور خفية يجريها القضاء لا يؤامر فيها أحداً ثم يكون لها في حياة الناس من الآثار ما لم يكن ليخطر لهم على بال" .. طه حسين - الوعد الحق.

شخصية أبو مروان..

هنالك أحداث ووقائع كثيرة في حياة بعض الناس حين يحكمون عليها من منظورهم البشري القاصر يصنفونها مباشرة في خانة الشؤم وسوء الحظ..

لأن هـذا الصـنف بطبعـه مجبـول عـلى التـوجس والخـوف مـن الغيـب.. متعـود عـلى انتظـار المصـائب والنكبـات، حـتى مـن وراء أسعد اللحظات وأدعاها للفرح والانشراح..

وحـتى إذا اقتحمـت المسـرات حيـاتهم وتبسـمت لهـم الأقـدار، إذا هـم يستحضـرون الشـقاء بمـا قـد يـؤول إليـه حـالهم عنـدما تتكشـف أسـباب السـعادة عـلى حقيقتهـا وتنسـحب بسـرعة تاركـة وراءها من الهموم والأحزان أضعاف ما جلبت وأثارت من الأفراح!

هـذا الصـنف بطبعـه مهـووس بالتفسـير والتأويـل وتعريـة الأسباب، ميالٌ لتغليب جانب الشرّ فيها على جانب الخير!..

والحيـاة بنظـره ليسـت أكـثر مـن سلسـلة أحـداث متلاحقـة مآلهـا الوحيد والمثاليُّ نهاية مربكة ومأساوية كالفناء.

وكـل مـا دون ذلـك مـن محطـات إنمـا هي مراحـل غـير جـديرة بالحفـاوة والاعتـداد .. لـيس لأنهـا شـحيحة وقاسـية حـد الفاقـة والحرمـان أو لأنهـا تخـتص فلانـاً مـن النـاس بلـون معـين مـن الأقـدار يلازمه في كل الظروف..

بـل لقصـور في إدراك الحكمـة مـن تفـاوت في الحظـوظ واخـتلاف في الأحـوال يعـطي لهـذه الحيـاة سر مـا فيهـا مـن عظمـة وروعة وجمال..

ولنا في هذا المقام طرازٌ يمثل هذه الفئة من البشر بجدارة مطلقة تسرد المواقف بعضاً من جوانب شخصيته المتشائمة حيث عاش معظم عمره كثير التخوف والخشية من قادم الأيام، بناءً على سلسلة الأحداث والمواقف التي انتظمت عقد حياته..

يستعد للسيئ أبداً ويراقب الأسوأ دائماً ولا يرى من الحياة إلا وجهها الداكن وملامحها العابسة!

حتى عندما ارتبط بمالكة قلبه كيانه لم ينعم -على ما يذكر- بلحظة سعادة وانشراح مخافة ما قد يأتي من منغصات وأكدار..

إذا جاءه ولد عبس وتحسّر وتمنى لو كانت أنثى لما يتوقع من ضياع الذكور وعقوقهم!

وإذا جاءته أنثى اسود وجهه واكفهرَّ من سوء ما بشر به.. فماذا ستضيف الأنثى إلى حياته أكثر من الهم والنكد..!

لقد اتخذ أحمد من الحظ مشجباً يعلق عليه ما حصل وما سيحصل من خيباته دون أن يسمح لنفسه ولو مرةً بتنسم رياح الأمل والتفاؤل، ليقينه المطلق أن نصيبه من خير هذه الدنيا قليل حدّ الندرة.. بسيط حد التفاهة.. ولو كان للحظوظ خيار في انتقاء أصحابها لما تردد أردؤها في اختياره من بين جميع الناس!..

ولأن معاقرة التشاؤم والاستدعاء الدائم للبؤس أمور تجعل من الحياة عبئاً يصعب على الإنسان تحمله إلى الأبد، كان من الطبيعي وعندما يؤوب أحمد إلى رشده في بعض لحظات الصفاء أن يشتغل على الرفع من مستوى التفاؤل والإحساس بالخير والإيجابي في محاولة للتشبث بالحياة ليكتشف سريعاً أن ما تصوره حقيقة وتبناه مبدأ حد الاعتقاد والإيمان، لم يكن أكثر من هواجس وظنون..

وأنه كالناس يشقى ويسعد.. يصح ويمرض.. ويأتيه الخير وتتلبسه النعم من رأسه حتى أخمص قدميه تماماً مثلما تمر عليه لحظات شديدة البؤس والشقاء كأي إنسان آخر على هذه الأرض، لا شيء يميزه عن غيره من الناس عدا اعتقاده الخاطئ أنه ولد ليشقى ويتعذب.

وله لو أراد في سُنة الكون سلوى فالناس كلهم مثله يتقلبون أبداً بين النعيم والجحيم وسفينة أقدارهم تمضي بذات الوتيرة إلى حيث تأخذها أمواج بحرِ حياةٍ متقلب لا تسوقها إلى ذلك المرسى الذي يستهويها الرسو فيه..

حتى إذا خف التشاؤم وتناقص الاعتقاد بملازمة السوء لحظه في الحياة فاجأه عناد مزمن لتحسن الأحوال وسعة الرزق جعله يستسلم من جديد لحالة من التأزم والعبوس..

كأن لا شيء في حياته يريد له أن يخرج من دائرة الضيق والأزمات..

ربما تكون أسباب السعادة في حياته نادرة وغير متعينة باستثناء زوجة طيبة ودود أنجبت له عشراً من الأولاد والبنات لم تسعفه الظروف في جعلهم يأخذون بأسباب العلم فساروا على طريقه وقلدوه في الانفصال المبكر عن التعليم ليقتحموا معترك الحياة برصيد متواضع من مقومات النجاح وأسباب المقاومة والصمود.

أما زوجته فقد تحملت قسطها من أعباء عائلة كبيرة لا يحمل أفرادها أي وِدٍ تجاه التعلم والتمدرس ويميلون بالفطرة إلى التمرد على القوانين والانتظام.. لكنها مع هذا تكدح صابرة معتمدة بعد الله على راتب بعلها الهزيل وما تكسبه من عمل يديها وخدماتها البسيطة التي تقدمها للناس.. معللة نفسها بأمل لا يزال بعيد المنال يتوقف على توظيف الأبناء أو بعضهم.

لـم يتحقـق شيء مـن ذلـك ويبـدو أنـه ربمـا لـن يتحقـق في المستقبل المنظور.. وليس أمامها إلا التحمل والصبر!..

سقوط مروان وخيبة أمل أحمد..

أحمـد ورغـم سـعيه الـدؤوب وحرصـه عـلى تطـوير نفسـه عـلى مسـتوى الوظيفـة والشـغل والرفـع مـن مسـتوى الـدخل، ظـل يبـارح مكانه يقدم رجلاً ويؤخر أخرى..

فاسـتقر في أغلـب الأيـام عـلى مـا يناسـب مسـتواه العمـلي والمعـرفي مـن راتـب ضـعيف وفـرص نـادرة في الكسـب مـن خـارج الوظيفـة. ولا يتـذكر أنـه حطـم حـاجز الثلاثـة آلاف ولـو لشـهر واحـد من سنوات قضاها على رأس وظيفته المتواضعة!..

واليـوم وقـد بـدأ الضـعف يتسـلل حثيثـاً إلى جسـمه المنهـك، وأخـذت عضـلاته في الارتخـاء معلنـة رغبتهـا في الاسـتقالة مـن مجهـود لـم تعـد قـادرة عـلى أدائـه بـنفس الـوتيرة والحمـاس، وبعـد أن بـدأ الأبنـاء يشـبون عـن الطـوق وبـدأت البنـات يفصـحن عـن نضـج وبلوغ..

كان أحمد على استعداد لسماع كل الأخبار عن أفراد عائلته الكبيرة، إلا ما ينغص حياته ويزيده توغلاً في مستنقع التعثر والضيق.

أكبر أولاده ومن كان ينتظر منه العون والمساندة يدخل السجن على خلفية التعاطي.

يا له من خبر بِوَقْعِ العذاب على هذا القلب الضعيف والجسد المنهك.

كأن المصائب لا تمل من عذاب هذه النفس التعيسة التي لا يبدو أنها خلقت لغير القهر والعذاب..

وعادت نبرة التبرم والتشاؤم لتطفو من جديد على نفسه ومزاجه..

وعاد التذمر والحنق يعبث بأفكاره وتخيلاته بعدما كان ينتظر في الفترة الأخيرة أن تجري رياح أقداره بما يحب ويتمنى، كأن يتوظف أحد الأبناء أو تتزوج إحدى البنات.

أما أن يسقط بكره في السجن في الوقت الذي كان ينتظر منه شدّ عضده ومساندته فهذا هو النكد وسوء الطالع.

إذاً لا جديد مطلقاً على مستوى التعافي والانفراج الذي حاول أحمد أن يصدق أمله في حدوثه وانتظاره بعد ما كبر الأولاد وبلغوا مرحلة العطاء والإنتاج بغض النظر عن تملصهم المبكر من المدرسة وعدم إبدائهم النزوع الصادق والحقيقي لتحمل جزء من مسؤولياتهم تجاه العائلة..

فكل تلك الاعتبارات غائبة عن ذهن أحمد نظراً لأن تفكيره واهتمامه مقصور على كسب قوته وقوت عائلته الكبيرة..

أما كيف وبأية وسيلة يمكن لهم أن يساعدوه وهل أسلوبهم ومنهجهم في الحياة هو الأسلوب الأنسب والسبب الأقرب فتلك حسابات معقدة ليست ضمن قاموس أحمد ومنهجه.

على كل حال لا يحبذ أحمد أن يفكر طويلاً في موضوع مروان هذا الذي خذله وخان توقعه، ويريد أن يتناساه بسرعةٍ ويحيّد همه جانباً ما دام لا توجد مساحة فارغة في نفسه لمزيد من الهم والنكد.

ولكن إذا كان مروان قد خذله في هذه المرحلة الحرجة من العمر، ألم يكفه على أقل تقدير مؤونة طلبات تافهة بلا بداية ولا نهاية..؟

ألـم يكفـه حبسـه هـم مصـاريف طالمـا أثقلـت كاهلـه وأخلـت بميزانيته الشحيحة المتواضعة؟

مـا قيمـة وجـوده في هـذه العائلـة الـتي لا يزيـدها حضـوره إلا توتراً واضطراباً؟

وجـوده تحـت وصـاية الحكومـة ورعايتهـا قـد يكـون أفضـل لـه ولنا!..

فليتحمل ما جناه على نفسه.. لا يهمني في شيء..

هو من اختار لنفسه هذا المصير..

كـان ذلـك مجـرد تنفـيس وتخفيـف عـن قلـب مثقـل بـالهموم، يصـدر عـن أحمـد عـادة في لحظـة الغضـب والضـيق، سـوى أنـه يـدرك في نهايـة الحسـاب أن عاطفـة الأبـوة لـن تسـمح لـه بـالتخلي عـن ابنـه هكذا بكل بساطة ..

لا بـد مـن زيـارة مـروان بـين الفينـة والأخـرى، لا بـد مـن تـوفير بعض متطلباته ومعرفة أحواله واحتياجاته ..

من أين؟ وكيف؟ ليس هذا هو السؤال!

وحـتى إذا فـرض هـذا السـؤال نفسـه فـإن الإجابـة عليـه لا تحـط من همّ إسكاته وتخطيه مثل ما تضيف عليه من صعوبة وتعقيد!

يجب أن يوفر أحمد في كل زيارة لابنه بعض ما يخفف عنه هم الحبس ومشقته!

حتى الأم والإخوة والأخوات كلهم يدفعون في ذلك الاتجاه ويسعون إليه دون أن يدركوا أنها مهمة تأخذ من روح والده وقلبه أكثر مما تفيد مروان وتروح عنه!

تعقدت الأمور أكثر من ذي قبل وتباعدت زيارات العائلة لمروان الذي بدأ هو الآخر يتأقلم مع وضعه الجديد ويسعى جاهداً إلى تدبر أمره ..

بل إنه بدأ يندم ويتحسر على ما جلبه لأبيه وأمه من هموم هم في الواقع في أشد الغنى عنها، وبدل أن يكون عوناً لهم ويشاركهم في تحمل هم العائلة أضاف عليهم عبئاً زائداً وكلفهم فوق طاقتهم..

فبدأ يتحرك من محبسه ويفكر في الطريقة التي يمكنه بها أن يكون مفيداً ونافعاً..

كيف.. ومن أين.. ومتى؟

أسئلة كثيرة أرّقته فقرر بعناد وحزم أن يبحث لها عن إجابة وحل!..

ربما هو نضجٌ أو استفاقة غير منتظرة من مروان الذي استهل حياته البالغة التعقيد بهذا النهج المنحرف، ومال سريعاً أو حاد عن طريق الرجولة والمسؤولية، وطرد السعادة والفرحة والأمل، واستدعى إلى بيت أبيه مزيداً من الشقاء والبؤس والفقر.

مروان والانقلاب المفاجئ..

كيف لوجوده في بيئة كالمؤسسة العقابية أن يطلق في نفسه شرارة النضج والندم؟

كيف تكون بداية استدراكه للموقف وتقييمه للحياة من هذا المكان بالذات؟

يحكي مروان أنه وبعدما قضى فترة طويلة داخل المؤسسة في جوٍ سلبي كئيب ساهم بنفسه في خلقه وتفاقمه بعدما تعوّد أن يقسّم فيه وقته بين النوم نهاراً والسهر ليلاً على اللهو واللعب ما عرف إلى ذلك سبيلاً، مبتعداً كل الابتعاد عن المشاركة في أي برنامج تأهيلي تقدمه المؤسسة، حتى الصلوات والمحاضرات

الداخليـة والتحفـيظ كـان حريصـاً عـلى التهـرب منهـا والانشـغال عنهـا بـأي شيء آخـر، لا يـرى لهـا فائـدة ولا يقـدر لهـا أي دور، حيـث ظـل على هذه الوتيرة خلال الربع الأول من محكوميته.

لكنـه ولسـبب لا يـذكره قـرر مـرة أن يشـارك في بعـض الأنشـطة التأهيليـة.. وبـدأ يلـتزم بحضـور المحـاضرات الدينيـة، ويصـلي مـع الجماعة، ويشارك في مسابقات التحفيظ وبقية الأنشطة المفيدة.

وبـدأ يكتشـف لأول مـرة أن للسـجن وجهـاً آخـر غـير الـذي رسمه في مخيلته..

بدأ يقابل المسؤولين ويتحدث إليهم..

وبـدأ يعـرف أن هنالـك أخصـائيات وأخصـائيين هـدفهم تقـديم المسـاعدة للـنزلاء، وفهـم أن مـن مصـلحته أن يتحـدث بصـدق وموضـوعية مـع الأخصـائية الـتي قابلهـا في السـابق دون أن يعـير لكلامها أي انتباه أو اهتمام.

أمـا هـذه المـرة فقـد صـارحها بكـل شيء، حـدثها عـن وضـع العائلـة: عـن أمـه وأبيـه وإخوتـه وأخواتـه.. عـن ظـروفهم القاسـية وحـالتهم الصـعبة.. أعـرب لهـا عـن رغبتـه ورجائـه في أن تسـاعد أهلـه بما تستطيع..

أما لنفسه فلا يريد منها أي شيء.

لم يدرك مروان خلال هذا الحديث أن ما طلبه وتوسل لتحقيقه هو في حد ذاته مطلبٌ وغايةٌ للمؤسسة متمثلة في الأخصائية التي أشرفت على المقابلة..

فكانت تلك هي البداية حيث أخذت الأخصائية كلَّ البيانات والمعلومات المطلوبة عن العائلة ووعدت مروان بأن تسعى للتخفيف من معاناة أسرته.. وأن تساعده مستقبلاً في رؤيتهم والجلوس معهم في أقرب فرصة..

كلام أشبه ما يكون بالحلم والخيال بالنسبة لمروان.. رغم أن العديد من زملائه بالحبس كلموه عن شيء من هذا القبيل .

فاستقطع من وقته الطويل ساعة بعيداً عن صخب المجموعة يقلب مآلات تأثير هذا الكلام- الذي أحس أنه يسمعه لأول مرة- على أسرته، وكيف لا يكون من أولى أولوياته السعي لصالح أبويه وأخواته؟

ولماذا يظل سلبي التأثير عليهم قليل الفائدة.. بل عديم الفائدة لهم؟!

أليس رجلا؟!

أليس من واجبه أن يكون لهم سنداً وعوناً؟!

وظل مروان يصارع مثل هذه الأسئلة ساعة من الزمن ويتمنى في قرارة نفسه أن يكون ما سمعه صحيحاً، وأن تكون هذه أبسط هدية يقدمها لأبويه بعدما جلب لهما الكثير من المتاعب والصعاب.

الأخصائيات والزيارة الأولى لبيت العائلة...

في اليوم التالي كانت الأخصائيات في ذلك البيت المتواضع بعدما رتبن زيارة ميدانية للاطلاع على أحوال العائلة..

كل ما قاله مروان كان حقيقياً بل إنه دارى على كثير من أوجه البؤس والفقر لدى هذه العائلة..

راتب هزيل للوالد هو الدخل الوحيد لهذه العائلة الكبيرة.. وعجز تام عن طرح حلول لتخفيف أعباء المعاناة نتيجة لطبيعة التكوين ومستوى الثقافة والوعي لديهم..

كـان اللقـاء الأول مـع هـذه العائلـة موجـه لاستقصـاءٍ دقيـق وجمع متأنٍ لما يمكن جمعه ومعرفته عن كل فرد فيها ..

مستواه الثقافي ودرجة الوعي لديه وماذا يتقن..؟

وبماذا يمكن أن يفيد ويستفيد..؟

هل هنالك أنشطة اقتصادية سابقة...؟

هل لهذا الشخص ميول لهذا النشاط أو ذاك..؟

وما يشاكل هذه الأسئلة والاستفسارات.

كانـت الأم وبناتهـا يتعـاطين مـع الأخصـائيات بطيـب خـاطر رغم أنهن لا يدركن أي شيء من أهداف هذه الزيارة.

ونتيجـة للوضـع البـائس لـلأسرة والحـال الاقتصـادية الصـعبة الـتي تعيشـها بـادرت الأخصـائيات بإعطـاء الوالـدة مجموعـة قسـائم شرائيـة تابعـة للجمعيـة التعاونيـة بسـقف مـالي كـان كفـيلاً بـالترويح عن نفسها وتخفيف بعض همومها.

فكـان لتلـك المبـادرة أثـره الطيـب في تشـجيع العائلـة عـلى حسـن التجـاوب مـع الأخصـائيات والاسـتماع لكلامهـن ومـا يقترحنـه بشـيء من الاهتمام.

ولأن هـــذه الزيـــارة تزامنـــت مـــع الانطلاقـــة الأولى لمشـــروع برنـامج "سـند" حيـث لـم يـذع خـبره بعـد في أوسـاط المجتمـع، ولـم تسـمع عنـه العائلـة مـن قبـل ممـا يشـجعها عـلى سرعـة التجـاوب وقبـــول المشـــاركة في أنشـــطته، لهـــذا قابلـــت الأخصـــائيات بعـــض الصعوبات في إقناعهم بفكرة الانضمام إليه..

لكـن محاولـة أخـرى كانـت كفيلـة بحمـل الأم لتشـارك مـن بـاب التجريـب بعـدما لاحظـت الاهتمـام الزائـد مـن الأخصـائيات بأسرتهـا وإصرارهن على زيارتها كلما كانت هناك مناسبة تدعو لذلك.

آخـر مـرة كانـت بمناسـبة إطلالـة شـهر رمضـان الكـريم حيـث حملـن لهـذه العائلـة نصـيبها مـن مبـادرة "المـير الرمضـاني" تلـك الفعاليـة السـنوية الـتي تتكفـل فيهـا المؤسسـة بتوزيـع كميـات مـن

المـواد الغذائيـة المختلفـة لـدعم الأسر المتعففـة ومسـاعدتها عـلى تحمل أعباء الشهر الكريم.

بعـد هـذه الزيـارة تحـدثت إحـدى الأخصـائيات عـن ضرورة مشـاركة هـذه العائلـة في مناسـبة قريبـة سـتكون المؤسسـة طرفـاً فيهـا ممثلـة في بعـض العـائلات تحـت لافتـة برنـامج "سـند" أصـبحت الوالـدة تـدرك حـد اليقـين أن نيـة الأخصـائيات طيبـة، وأنهـن يسـعين لجرهـا لمـا فيـه صـالحها وصـالح عائلتهـا، لكنهـا لا تـزال لا تـدرك كيـف يمكـن لهـا مـن موقعهـا وحالتهـا الماديـة هـذه أن يكـون لهـا معـرض خاص بها بالشراكة مع جهة حكومية!

الأمـر غايـة في البسـاطة تقـول الأخصـائية، أنـت كمـا علمنـا تجيـدين طـبخ الأكـلات الشـعبية الخفيفـة، سـوف نـوفر لـك كـل مـا يلـزم مـن معـدات ومـواد أوليـة .. ويـبقى عليـك المجهـود اليـدوي مـن طبخ وإعداد وبيع!..

والنتيجة.. تقول الوالدة..؟

النتيجة لك ..

وأنتم..؟

الأخصائية: تعمل المؤسسة هذا من أجل مساعدتكم وحتى تضمن لكم دخلاً مستقراً يساعدكم في تدبير شؤونكم.

الأم: ولكن ظهورنا في مكان عام ونحن نبيع بهذه الطريقة سيكون فيه شيء من الإحراج!..

الأخصائية: بالعكس هذا عمل والعمل كله شرف ثم إنك لن تكوني وحدك .. لدينا مجموعة كبيرة من العائلات التي أعطت موافقتها على المشاركة.

كان لقبول البنات المبدئي دور في تشجيع الوالدة على كسر حاجز الخوف والخجل، فأعطت التزامها ووافقت بأن تكون في الموعد المحدد بل وأن تكون عند حسن الظن..

وإذاً فقد تحركت عجلة العمل على هذا النشاط ولم يعد يواجه الأخصائيات أيُّ عائق.. فقط عليهن الإسراع بتنفيذ الوعد والوفاء بالالتزامات.

جانب آخر من حيثيات القصة لا يمكن إهماله أثناء بسط هذه التفاصيل يتعلق الأمر بذلك الدور الخفي شيئاً ما الذي لعبه مروان في إطلاق شرارة المبادرة مع عائلته ليس غريباً في حد ذاته إلا بقدر ما هو مفاجئ لأن مروان الذي تعرفه والدته جيداً لا يمكن أن يكون محضر خير إلا إذا كان قد تغير جذرياً وأصبح شخصاً آخر

أمـا أن يصـدر عنـه توجيـه أو إرشـاد لمصـلحة الآخـرين فهـذا شيء مستبعد.

لهـذا لـم تشـأ أن تفـوت هـذه الفرصـة دون أن تسـتفهم مـن الأخصـائية عمّـا جـد عـلى شخصـية ابنهـا خـلال هـذه الفـترة الـوجيزة.. والـتي كانـت تفـترض أن تسـوء فيهـا حالـه أكـثر، وأن يأخـذ مـن أسـباب التمـرد والانحـراف كمـا تعـودت أن تسـمع وتشـاهد ممـن يـدخلون السجون في مثل هذه القضايا ..

حاولـت بأسـلوبها الـبريء وطرحهـا المبـاشر أن تكـون في الصـورة بشـكل أكـثر وضـوحاً، وأن تقـف عـلى حقيقـة مـا حصـل مـع ابنهـا مـن تغير إيجابي غير منتظر!

مـن يـدري فقـد تكـون عازمـة عـلى إرسـال أخويـه الأصـغرين إلى ذات المكـان مـا دام ثمـة إمكانيـة للتـأثير عـلى سـلوك الأشـخاص بهـذه السهولة..!

ولأن مغـزى التسـاؤل والاستشـكال كـان واضـحاً بالنسـبة للأخصـائية فقـد تعمـدت أن تلـف إجابتهـا التوجيهيـة بشـيء مـن الإبهام..

فعلاً هو مكان صعب وفيه أخلاط من الناس والثقافات والنفسيات ..

والإدارة آخذة بأسباب الإصلاح والتأهيل، لكن الاستجابة تتوقف على الشخص نفسه..

إذا وفق وأقبل على الاشتراك في هذه البرامج كانت فرصته في تغيير السلوك والاستقامة كبيرة ومتوقعة، وإذا أعرض وفضل الارتباط بالرافضين والممانعين فمن المتوقع أن تسوء حاله وأن ينتكس..

لكن هناك العديد من الجهات التي توجه النشء وتحفظهم من الانحراف أهمها كما تعلمين عدم السماح لهم بترك الدراسة والحرص على توجيههم للمساجد لحفظ القرآن.. وعدم إعطائهم فوق ما يلزمهم من الحرية والاستقلالية، لأن الحدث مهما كان يبقى بحاجة إلى الرقابة الأبوية والمتابعة العائلية اللصيقة حتى يتخطى خطر عتبة المراهقة..

ولا بد كذلك من الانتباه للرفاق والأصدقاء ومعرفة كل ما يمكن عنهم وعن سلوكهم..

وطفقت الأخصائية تبسط في النصائح والتوجيهات التي تقبلتها الوالدة بكثير من الاهتمام والتركيز رغم إلمامها التام بها

وبغيرها ..لكنها أصغت وركزت بحكم المغلوب على أمره الذي يرى بوضوح ويعرف التفاصيل الدقيقة لكل جوانب قضية تهمه لكنه مع ذلك يقدر ويدرك عجزه عن كسبها كما يجب وكما يحب.

الوالدة: لا أملك ما أقول بعدما خرجت الأمور من يدي وكم تمنيت لو أدركت هذه الحقيقة قبل عشرين سنة من الآن لكنت ساعتها أخذت على أولادي بيد من حديد ووجهتهم للطريق الصحيح..

أما الآن فحد جهدي التدارك وتصحيح ما أمكن من أخطاء بمساعدتك ومساعدة الخيرين في هذه البلاد، وتلك مهمة- كما تعلمين- صعبة أرجو أن أوفق فيها..

أم مروان وبناتها.. بداية الانخراط في برنامج "سند"

تقول الأخصائية: نحن هنا لنقدم باسم المؤسسة ما نستطيع من مساعدة لمروان ولكم كلكم، وما نطلبه منكم أنتم بالذات ليس بالأمر العسير..!

علـيكم فقـط أن تـدركوا أن مـا نـوجهكم إليـه هـو لمصـلحتكم وعلـيكم بالتـالي أن تتعـاونوا معنـا وتسـاعدونا عـلى مـا نرسـم مـن أهداف وخطط..

لـم تمـض أيـام كثـيرة حـتى وجـدت الأم نفسـها وبناتهـا في احتفاليـة تنظمهـا القيـادة العامـة لشـرطة الشـارقة بمناسـبة اليـوم الـوطني، والـتي اختـارت لهـا مقـر أكاديميـة العلـوم الشـرطية، حيـث كانـت هـذه العائلـة مبهـورة ومتحمسـة لمـا لاقتـه مـن إقبـال عـلى معروضـها مـن أكلات شـعبية وبمـا أحسـته كـذلك مـن حفـاوة واهتمـام من طرف القائمين على المعرض..

مـردود المناسـبة كـان فـوق المتوقـع مـن الناحيـة الماديـة بحسـب أم مـروان، وكـان لـه ذلـك الصـدى الطيـب لـدى الوالـد أحمـد والـذي تعجـب في أعماقـه مـن خـروج الخـير مـن رحـم الشـر، والنعمـة مـن النقمـة، وتـذكر كيـف امـتلأ حسـرة وغيظـاً وتشـاؤماً عنـدما علـم لأول مـرة أن ابنـه البكـر دخـل السـجن في قضـية مخـدرات.. وكيـف صـاح في وجـوه أفـراد العائلـة بالسـباب والتجـريح وأنـه لا خـير يـرتجى مـن ورائهـم.. إلى آخـر مـا فـاض عـن تلـك الـنفس المشـحونة بـالهم والحزن والخذلان..!

يتـذكر كـل ذلـك ويستحضـر الآن مـا أخبرتـه بـه زوجتـه قبـل فـترة مـن صـلاح حـال مـروان وتغـير عقليتـه ومزاجـه وكيـف أنـه كـان سـبباً وراء مـا يـراه الآن ويلمسـه مـن تحسـن عـام عـلى مسـتوى الأسرة بمجملها!..

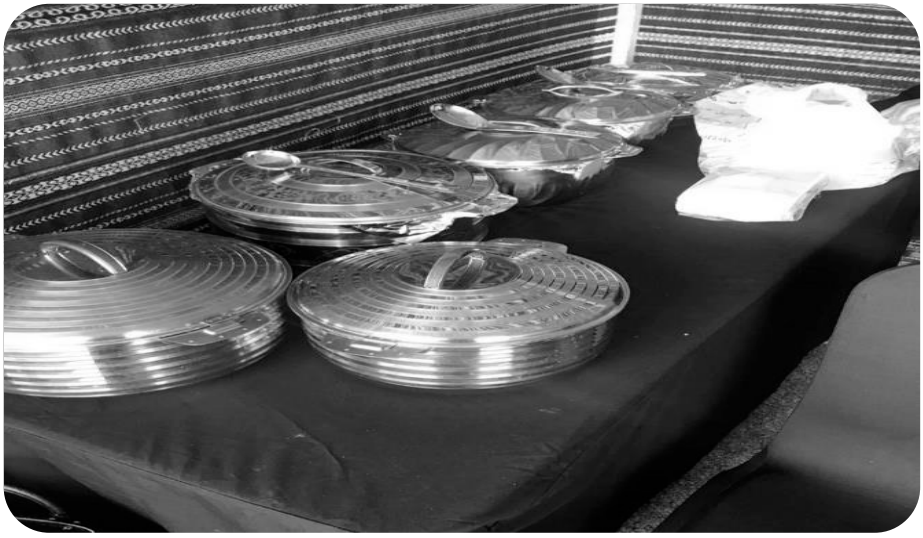

ومـع كـل هـذا لـم تكـن الآمـال لتمضـي بعيـدة بهـذه الأسرة الفقـيرة لإدراكهـا أن هـذه الانفراجـة النسـبية ربمـا لـن تكـون أكـثر مـن حالـة طارئـة ومؤقتـة.. فاحتفاليـة اليـوم الـوطني مناسـبة عـابرة وانتظـار مناسـبة أو احتفاليـة أخـرى لا يمكـن أن تبـني عليـه أسرة آمالها في العيش واستقامة الحال..!

تكلمت أم مروان في هذا الموضوع مع الأخصائيات بعد أن أعربت عن شكرها الشديد للمؤسسة على ما قدمت لها ولعائلتها من دعم وعون لكنها في الواقع قلقة على قابل الأيام هل ستعود إلى حالتها السابقة ومصادرها الشحيحة، أم أنها تنتظر بعض الهبات والمساعدات التي تنالها من هنا وهناك على غير نسق منتظم؟!

أم ماذا عساها تعمل بعدما شاهدت وعرفت من تحسن بمناسبة العمل مع هذه الجماعة؟!

ويأتي التطمين مرة أخرى من الأخصائية..

لا .. لا.. ما جربناه حتى الساعة ليس إلا بداية..

وبحول الله سيكون القادم أفضل.. لا تقلقي من هذه الناحية، ستستمر الأمور في التحسن بحول الله..

كلام يبعث على الاطمئنان تقول أم مروان في نفسها لكنها لا تزال في حيرة من طبيعة التدخل الذي تشير إليه الأخصائية في معرض حديثها وتلمح إليه في ثنايا كلامها.

إلى الآن تقول الأخصائية لا تعتقد المؤسسة أنها أضافت إلى هذه العائلة شيئاً جديداً، كل ما فعلناه هو تشجيعكم على استغلال

خـبراتكم ومهـاراتكم بأسـلوب أحسـن ممـا كنـتم تفعلـون في المـاضي، وسهلنا لكم مهمة العرض والتسويق!..

لكـــن في المســـتقبل وكـــلامي موجـــه للبنـــات بشـــكل خـــاص ستســاعدكم المؤسســة عــلى اكتســاب مهــارات جديــدة وســتتيح لكــم فرصــة ممارســة أنشــطة لــم تمارســوها مــن قبــل وبطريقــة علميــة مدروسـة تضـمن لكـن نسـبة كبـيرة مـن النجـاح إذا اسـتطعتن تطبيـق التعليمات والتزمتن بالتوجيهات..

كيف ذلك تقول إحدى البنات..؟

لـــدينا الآن دورات متخصصـــة في مجـــال التـــدريب عـــلى إدارة المشـــروعات الصـــغيرة.. وقـــد نســـقنا مـــع العديـــد مـــن العـــائلات في نفـس ظـروفكم في موضـوع الانتسـاب لهـذه الـدورات، ولا نطلـب مـن المنتســبة إلا الالــتزام والجديــة والحــرص عــلى كســب الخــبرات الــتي ستقدم لها بأسلوب شديد البساطة والوضوح.

هـــذا في المرحلـــة الأولى وبعـــد التخـــرج ســـتتكفل المؤسســـة للمنتســبات بتمويـل المشـروع المناسـب لكـل واحـدة مـنهن ومواكبـة أدائها إلى أن تعتمد على نفسها.

وحـتى خـلال فـترة التـدريب سـتكون هنالـك مشـاركات في كـل مناسـبة تقيمهـا المؤسسـة أو تكـون عضـواً فيهـا مـن أجـل ضـمان نـوع من الاستمرارية في النشاط الموجه لكنّ.

شـكرت الأم وبناتهـا للمؤسسـة هـذا السـعي وأعـربن عـن سـعادتهن واسـتعدادهن للمشـاركة في أي نشـاط تطلبـه المؤسسـة منهن.

ولأن (أم مـروان) كانـت تشـارك في المـاضي في بعـض المعـارض الخارجيـة بشـكل غـير منـتظم فقـد تشـجعت بعـدما تحصـلت عـلى هـذا الـدعم عـلى تسـجيل حضـور دائـم في فعاليـات الحـدائق العامـة ولكـن بـرأس مـال أكـبر هـذه المـرة وبجـودة في المعـروض.. الأمـر الـذي

وفـر لهـا دخـلاً إضـافياً لا بـأس بـه.. دفعهـا إلى التقـدم بالشـكر الجزيـل للمؤسسـة بفضـلها الكبـير عليهـا وعـلى عائلتهـا.. والوقـوف بقـوة وراء بناتها من أجل أن يشاركن في الدورات التدريبية.

اختـارت المؤسسـة لكـل واحـدة مـن الفتيـات مجـالاً تخصصـياً بعـد تقيـيم مبـدئي يقـوم عـلى معـايير واضـحة تسـتخدمها الأخصـائية المشرفة خـلال المقـابلات والزيـارات مـن أهمهـا الميـل إلى المجـال وتقبله، أو امتلاك خبرات سابقة فيه..

بعـد فـترة وجـيزة سـيكون لهـذه العائلـة المعدمـة ثلاثـة مشـاريع صـغيرة عـلى أقـل تقـدير وإذا حـالفهم الحـظ سـتكون اسـتفادتهم جليـة وبينـة.. عمومـاً لقـد كـان لهـذا التحـرك المبـارك أثـر بـالغ عـلى نفسـية كـل فـرد مـن أفـراد هـذه العائلـة.. حـتى مـروان الـذي لا يـزال ينتظـر الجـزء الأكـبر مـن محكوميتـه، لـم يعـد بـذات المسـتوى مـن التلهف على أن يشمله عفو عام أو خاص..

فقـد بـدا في الفـترة الأخـيرة أكـثر اطمئنانـاً واتزانـاً ولـم يعـد يفـوت فرصـة للتقـدم بالشـكر والامتنـان للأخصـائيات ومـن خلالهـن للمؤسسـة والقـائمين عليهـا عـلى مـا يعتـبره إنجـازاً واهتمامـاً بالغـاً بـه وبأسرته..

أثر المبادرة على نفسية مروان..

أصبح كل من واكب سيرته وعرفه منذ دخوله المؤسسة يدرك حجم التغير الكبير الذي طرأ على سلوكه وأسلوبه في التعامل سواء مع بقية النزلاء أو طاقم العمل الشرطي.

فهل يمكننا أن نقول إن تأثير هذه المبادرة الإيجابي يمكن أن يعود إلى النزلاء رغم أنه مشروع موجه بالأساس إلى ذويهم وليس إليهم!

أكبر دليل على ترجيح احتمال تأثر النزيل بالخير الواصل لأهله عن طريق المؤسسة ما حصل مع مروان رغم أنه لم يكن في يوم من الأيام سندهم أو معيلهم، وإن كان ذلك هو أملهم إلى فترة وجيزة قبل سقوطه .

إلا أن تقديره للمعروف الذي أصاب أهله من هذه الجهة شكل له حافزاً لحساب الأمور من زاوية مخالفة وبطريقة مغايرة لطريقة تفكيره القديم وما كان من اندفاعه الأعمى دون اعتبار للعواقب والمآلات، فقرر مراجعة حساباته واستدراك المواقف عاقداً العزم على أن يكون أكثر فائدةً ونفعاً لنفسه وأهله.

فبرنـامج "سـند" مـن هـذا المنظـور ومـن خـلال هـذا النمـوذج الـذي بـين أيـدينا برنـامج مـزدوج النفـع يصـلح لأن يكـون ركـيزة مـن ركـائز التأهيـل والإصـلاح للـنزلاء إضـافة إلى مـا يقدمـه لـذويهم مـن إصلاح حال وتحسين ظروف معيشة!..

لقـد أثبتـت التجربـة أن التـأثير الإيجـابي المبـاشر عـلى بعـض الأسر نجـم عنـه انعكـاس عـلى نفسـيات أبنـائهم في السـجن، وتحولـوا مـن نـزلاء سـيئي التصـنيف والسـلوك، غـير إيجـابيين في تعـاطيهم مـع مـا تقدمـه المؤسسـة مـن بـرامج إصـلاحية إلى نـزلاء حسـني السـلوك ملتزمـين بـالقوانين والـنظم الداخليـة للمؤسسـة، مقبلـين بشـكل ملحـوظ عـلى كـل بـرامج التأهيـل الـتي يتوقـف انتفـاع النزيـل منهـا عـلى إقبالـه عليهـا وتقبلـه للمشـاركة الطوعيـة والاختياريـة فيهـا، حـتى يتسنى له الاستفادة منها بالشكل المطلوب.

وهـذا مـا يعـني إمكانيـة طـرح الفكـرة مسـتقبلاً بشـكل أكـثر تـأطيراً وتوجيهـاً بحيـث تصـبح الرعايـة الموجهـة لـذوي النزيـل في الخـارج موازيـة لمـا يقـدم لـه في الـداخل سـنداً وضـماناً لتقبلـه للـبرامج الإصلاحية واستفادته منها بدرجة أكبر..

سند رعاية مزدوجة..

ولـن تكـون تلـك الفكـرة مجديـة وفعالـة مـا لـم تضـبط بجملـة مــن المعــايير والاشــتراطات الــتي تحــدد مــن ومــتى وكيــف تتوجــب المزامنة بين الرعايتين للنزيل بالداخل ولأسرته في الخارج..

وحــتى لا نختــتم هــذه القصــة قبــل التطــرق لآخــر مــا توصــلت إليــه أم مــروان وبناتهــا مــع برنــامج ســند وهــل فعــلاً كانــت هنــاك اســتفادة تســتحق الإشــادة والتعليــق أم أن التجربــة لــم تكــن ناجحــة مــع هــذه العائلــة بالــذات، نــترك الحــديث عــن ذلــك لأم مــروان شخصياً الـتي أبـت إلا أن تتوجـه مـن خـلال مـن ظـل عـلى اتصالٍ دائـم معهـا مـن الأخصـائيات بجزيـل الشـكر والعرفـان إلى كـل مـن لـه إسـهام في هـذه المبـادرة الطيبـة الـتي وفـرت لهـا دخـلاً إضـافياً وسـاندتها عـلى إقامــة مشــروعها الصــغير الأمــر الــذي انعكــس إيجابــاً عــلى اســتقرار أسرتهـا وسـمح لهـا بـالتطلع إلى آفـاق أوسـع فيمـا يتعلـق بالإنفـاق في مختلــف أبــواب الصــرف دون أن تغفــل الإشــارة إلى أن فرحتهــا مضــاعفة فــوق ذلــك بعــدما شــاهدت بناتهــا ينشــطن في مجــالات اســتثمارية تعــود علــيهن بــالنفع وتحقــق لهــن أســباب الاســتقرار النفسي والمعنوي أمام زميلاتهن ووسطهن الاجتماعي.

أمّا ما كان له الأثر الكبير على نفسها والذي تعتبره هدية لا تقدر بثمن خرجت بها من هذه العلاقة بالمؤسسة العقابية والإصلاحية بالشارقة فهي من غير شك ذلك التحول الإيجابي والتعديل الحسن الذي طرأ على سلوك ابنها في المؤسسة..

وكما هو معروف ضمن الاستراتيجية العامة لهذا البرنامج لا تنقطع العلاقة بين لجنة البرنامج والمنتسبات إليه بمجرد انطلاقة مشاريعهن ودخولهن مجال البيع والإنتاج بشكل رسمي بل يظل هنالك مستوى عالٍ من الاتصال والمتابعة يضمن للبنات المشاركة الدائمة في مختلف المعارض التي تقام داخل الشارقة بوجه خاص أو على مستوى الدولة حين توجه الدعوة للقيادة العامة لشرطة الشارقة للحضور والمشاركة.

وهكذا فإن الحضور المتميز لشرطة الشارقة في جميع الفعاليات المخلدة للأفراح والمناسبات الوطنية غالباً ما يرافقه حضور وتمثيل معتبر لهذه العائلات تكريساً للدور والرسالة السامية التي تحرص الشرطة على إيصالها كخادم للمجتمع في المقام الأول والأخير.

وحرصاً منها على تنفيذ هذا البرنامج وإعطائه ما يستحق من عناية واهتمام يعكس الوعي الشامل لدى كبار القادة والمسؤولين

للـدور الإيجـابي الـذي يلعبـه برنـامج "سـند" في دعـم ورعايـة هـذه الطبقـة الهشـة في المجتمـع، وتأكيـداً فـوق ذلـك عـلى التماسـك والاحتفـاء بمثـل هـذه العينـة مـن الأفكـار الإبداعيـة الـتي تضـيف إلى المجتمـع وتسـاهم في رقيّـه وتقدمـه، وحـتى لا تظـل النظـرة النمطيـة والتصـور البائـد عـن الـدور المشـوه للشـرطة معشعشـاً في أذهـان العامـة، إيمانـاً مـن هـذه القيـادات بأنـه آن الأوان ليطلـع كـل فـرد في هـذا المجتمـع عـلى سـمو الـدور ونبـل الرسـالة الـتي تقـدمها الشـرطة خدمـة للمجتمـع فضـلاً عـن مهمتهـا الأمنيـة البالغـة الأهميـة والـتي كسـاها التعقيـد وأضـفت عليهـا الحساسـية حلـة مـن القسـاوة والخشـونة في مخيـال النـاس.. لـولا أن الانفتـاح الجديـد وتنـامي الـوعي لـدى الجمهـور تزامنـاً مـع اسـتيعاب الجهـاز الأمـني لحقيقـة أدواره سـاهما في صـقل الصـورة وتقـديمها بلمسـة أنـقى وأنصـع بكثـير ممـا كانـت عليـه في السـابق ولعـل هـذه النوعيـة مـن الـبرامج والمسـاهمات من أكثر الأمور إسهاما في تحقيق ذلك الهدف!

عائلـــة خليفـــة والوجـــه الآخـــر للمؤسسة العقابية والإصلاحية

سـمية وسـند.. قصـة كفـاح تكللت بالنجاح

عائلــة خليفــة والوجــه الآخــر للمؤسســة العقابية والإصلاحية

سـمية وسـند.. قصـة كفـاح تكللـت بالنجاح

الليل في هذه الناحية من العمر موغل في الرتابة والطول ..

أحسـه يمضـي متثـاقلاً كئيبـاً يعيـد في ذاكـرتي شريطـاً مـن الأحـزان والمخاوف.. كأنما يتهددني بالصباح..

آه من صباحاتي الباهتة النور..

أحداثها هي ذاتها.. خيبات ونكران وصدود!..

لا جديد على مستوى هذه النفس المنكوبة..

لا أمـل في اسـتعادة ولـو نـزر مـن نعمـة أيـام طويلـة عشـتها في سـلام وحبـور.. ثـم انقشـعت فجـأة كـالبرق دون سـابق إنـذار مخلفـة وراءهـا هالـة مـن البـؤس والقلـة والحرمـان مـا تصـورت أن أعيشـها مـا حييت!..

لكــن صــعوبة مواجهــة تقلــب الــزمن لا يمكــن أن تكــون ســبباً لرفع الراية البيضاء والاستسلام.

والرضوخ لإكراهات الواقع إدانة للنفس بالموت والنهاية..

فهـل يعقـل يـا سـمية أن تكـوني عـلى هـذه الدرجـة مـن الضـعف والخذلان؟

تلـك كانـت عينـة مكثفـة مـن حـوار مـع الـنفس خرجـت منـه سمية بقرار حاسم..

ألا تتوقــف عنــد محاولــةٍ حــتى تــنهض بهــذه العائلــة المنكوبــة المجـردة مـن كلّ حـول وقـوة عـدا إصرارهـا هي وعزيمتهـا عـلى مقارعـة الواقع وتحديه..

حتى ولو كان ذلك الواقع قاتم المعالم شاحب التفاصيل..

مفرداتــه: زوج يقبــع في الســجن جــراء إفــلاس مفــاجئ وديــون متراكمة لا يملك لسدادها أي سبب..

وثلاث بنات صغيرات ومثلهن من الذكور..

لــيس هــذا فحســب وإنمــا تنكــرٌ شــديد مــن كــلّ المعــارف والأصـدقاء عجّـل بنفـاذ مـدخراتٍ لـم تتوقـع سـمية أن تحتاجهـا ذات يوم!..

انطـلاق سـمية مـن رسـم معـالم واقعهـا وتحديـدها عـلى هـذه الشـاكلة مـرده إلى عقيـدة راسـخة في عقلهـا وقلبهـا منـذ زمـن تقـول هـــذه العقيـــدة إن وعي الواقـــع وإدراكـــه شرط مهـــم في كســـبه وتطويعه!..

لأجـل هـذا لا مـانع لـديها أبـداً مـن أن تعمـل أي شيء يمكِّنُهـا مـن أن تجتـاز بنفسـها وعائلتهـا إلى بـرّ الأمـان، بغـض النظـر عـن ماضـيها القريب وما فيه من الوفرة واليسر والنعيم..

تلـك حالهـا الـتي أصـبحت عليهـا بعـد مـرور أشـهر بالعـدد عـلى سجن زوجها الذي جاء دون تحسب واستعداد.

أمـا هـو فقـد حـاول جهـده أن يجـد لنفسـه مخرجـاً مـن هـذه الورطة حتى يتمكن من تدارك ما يمكن تداركه..

لكـن جهـوده كلهـا بـاءت بالفشـل وكـاد يصـل إلى قناعـة أن لا مخـرج لـه مـن هـذه المصـيبة بعـدما لاقى مـن صـعوبة وعسـر في التواصـل مـع الـدائنين واسـتحالة إقنـاعهم بإفلاسـه وعجـزه عـن سـداد الدين..

فقد كانوا شبه متفقين على أنها خطة خبيثة لجأ إليها خليفة للتملص من ديونه لينعم بعد إسقاطها بثروة كبيرة كفيلة بسيطرته على السوق..

تلك هي الحقيقة وإلا فمن يصدق أن يسقط خليفة ذلك الرجل الرزين الهادئ الذي تعوّد أن يحسب لكل خطوة يخطوها ألف حساب، كيف يسقط هكذا بكل بساطة وينهار هذا الانهيار الكبير..؟

غير مدركين أنه وصل حد التكفف واستجداء الفتات من الدراهم حتى يتمكن من التواصل مع زوجته وبناته ويطمئن على أنهن لا زلن على قيد الحياة.

وفي الوقت الذي كان تفكير أصدقاء خليفة على هذا النحو كانت سمية قد أنفقت آخر درهم بحوزتها، بل إنها ربما أنفقت من ماء وجهها تطالب من تعرفه ومن لا تعرفه قرضاً أو سلفة بمبلغ زهيد تنفقه على عيالها المحتاجين، وتعرض نفسها على كل جهة توظيف أملاً في الحصول على أي راتب يجنبها التكفف والمسألة..

لكن لا فائدة فمؤهلاتها لا تناسب شواغر الوظائف لديهم ولا أحد مستعد لإقراضها بناء على موقفهم من خليفة الذي لا

يزالـون يعتقـدون أنـه خـان ثقـتهم واسـتغلها بعـدما كـان الجميـع يرفعـه فوق مستوى الشبهات..

والواقـع أن خليفـة لـم يكـن بأفضـل حـالاً مـن زوجتـه بعـدما كـاد الإحبـاط يمـلأ كيانـه ويشـل فيـه كلّ قـدرة عـلى الفعـل والحركـة.. شيء واحـد تغـير في مزاجـه وعقليتـه يعـود الفضـل فيـه إلى الصـدمة والإحباط..

يتعلـق الأمـر بنظرتـه إلى النـاس في عالمـه الجديـد بعـدما كسـرت فيـه التجربـة إحساسـه بـالتكبر والاسـتعلاء وفهِـمَ أن النـاس هنـا مثلـه بـل أحسـن منـه غالبـاً، عـرف ذلـك عنـدما اضـطر للجـوء إلـيهم والاعتماد عليهم في كثير من حاجياته الضرورية..

خليفة والنظرة المختلفة للمؤسسة..

حـتى أحـاديثهم ومواضـيع نقاشـهم الـتي كانـت تثـير في نفسـه السخرية والامتعاض صار لها طعم ومعنى مختلف..

بدأت تشده وتستهويه ..

وبالـذات مـا يقولونـه عـن المؤسسـة وبرامجهـا الخيريـة لصـالح أهـالي الـنزلاء وتـدخلها لحـل بعـض المشـاكل العويصـة والعالقـة بـين النزلاء وخصومهم..

بدأ يستمع إليها بشيء من التركيز والاهتمام.

من يدري فقد يكون لهذه الأحاديث بعض من مصداقية!..

فهـــل آن الأوان ليأخـــذها عـــلى محمـــل الجـــدّ ويلجـــأ إلى المؤسسـة وسـيلةً لحـل معضـلة أعيـاه حلهـا وتحريكهـا أم يفكـر فيمـا مـن شـأنه أن يخفـف مـن حجـم الضـغط والمسـؤولية عـن زوجتـه وعياله!..

فليفكـر في أيهمـا شـاء إذا كـان مـن فائـدةٍ تـرتجى مـن تفكـيره وتخطيطه..

سـقوطه المفـاجئ الـذي كـان بسـبب تـراكم مسـتحقات حلـت عليه، لم يستطع الوفاء بها، أو أنه

كـان يؤجلهـا بانتظـار صـفقة غـير مدروسـة دخلهـا لأول مـرة بعـد إغراء مبالغ فيه وتشجيع من شريك جديد..

هـذا السـقوط غـير المتوقـع فـوت عليـه حـتى فرصـة الاحتيـاط والتـأمين الـلازم اتخـاذه مـن طـرف مـن يغـامر بالـدخول بقـوة في مجـال تجاري شديد التقلب والاضطراب..

لـم يكتشـف خليفـة ذلـك إلا بعـد أن وجـد نفسـه في هـذا المـأزق الـذي يزيـده ضـيقاً وصـعوبةً وضـع عائلـةٍ لـم يـترك لهـا مـا تعتمـد عليـه، ويدرك كم ستكون معاناتها صعبة وظروفها بالغة القساوة..

امتـدت فـترة حبسـه لشـهور بـدأ فيهـا تـردد الزوجـة والأبنـاء يخـف عليـه تـدريجياً بعـدما اتضـح للجميـع أن معـالم مرحلـة جديـدة تشـترط قطيعـة مطلقـة مـع كـل شيء حلـو وجميـل عرفتـه العائلـة قبـل إفلاس خليفة ومحاصرته بديون لا يستطيع سدادها..

لـم يعـد هنالـك مـن داعٍ للـتردد عـلى السـجن لرؤيتـه والتحـدث إليه طالما لا جديد يحملونه إليه، ولا ينتظرون منه أي جديد!..

فـالأمور متأزمـة أشـد مـا يكـون التـأزم.. والآمـال هي الأخـرى آخـذة في التضـاؤل والانحسـار.. لعـب خليفـة آخـر بطاقـات أملـه واسـتنفد كـل احتمـالات نجدتـه مـن الخـارج.. وكـان التجـاوب دائمـاً مخيبـاً ومثيـراً للإحبـاط.. فالمبالـغ كبيـرة والدائنـون لـم يصدقـوا بعـد عجـزه عـن السـداد، ولـدى أغلبهـم نفـس طويـل للصبـر

والانتظار عسى أن يكون هنالك عنده في مكان ما ما يمكن أن يسدد به ما عليه من ديون.. غير مدركين أنه وصل حداً من العجز والإفلاس لم يعد قادراً معه على توفير مصروفه الأسبوعي في السجن، والله وحده يعلم كيف تسير الأمور في البيت!..

ما هو جميل وجيد في شخصية خليفة أن به بقية من قناعة وعقلانية وقد عوِّد نفسه في ساعة الجد أن يعيش اللحظة بآلياتها دون مكابرة أو عناد، لهذا كان تعايشه مع واقعه الجديد - أول ما أدرك أن عليه الاستسلام - بمستوى لافت من التقبل والاعتياد..

كأنه لم يتقلب في نعيم الحياة سنوات عديدة من عمره المديد ..

فهـا هـو اليـوم وقـد توسـط عقـده السـادس يـدخل السـجن لأول مــرة في حياتــه مخلفــاً وراءه عائلــة كبــيرة تحــت خــط الفقــر.. لكنــه يـؤمن أن مـن أعطـاه مـا أعطـاه بمشـيئته وسـلبه لحكمتـه وقضـائه لـن يكلهم عليه..

أمــا عــن نفســه ومحنتــه فــالتفكير في حلهــا وتجاوزهــا لــم يعــد مجـدياً بالنسـبة إليـه بعـدما اسـتوفى جهـده وأسـبابه وأعلـن الاستسـلام والتوقــف عــن التفكــير إلى أن يفرّجهــا الله مــن عنــده ومــا ذلــك عليــه بالعسير..

لـن يـدَّخر جهـداً ولـن يـترك باباً يؤمـل في طرقـه حـلاً لهـا إلا طرقـه لكنــه لا يــرى فائــدة مــن حمــل هــمّ لا يملــك ســبباً لإزاحتــه كــالقلق الدائم والتفكير..

فقــد أدرك أن عليــه وبعــدما اتضــح مســار قضــيته أن يرضــخ لإكراهــات الواقــع ويتعــاطى بدرجــة أكــبر مــن الاهتمــام مــع مواضــيع داخليــة في المؤسســة مــا دام كانــت بالنســبة لــه مــن بــاب الدعايــة المغرضـة والكـلام المضـلل الـذي قـد يـنطلي عـلى أي شـخص إلا عليـه وأمثاله من رجال الأعمال والطبقة الراقية من المجتمع..

فمنطقــه ومســتوى عقلــه وتفكــيره كانــا يدفعانــه إلى أن ينتظــر مــن المؤسســة كــل شيء إلا أن تقــف وراء التخفيــف مــن عبئــه أو حــل مشكلته..

أمــا أن تكــون لهــا يــد طــولى خــارج أســوار المؤسســة ونزلائهــا تصــل بــالمعروف إلى ذويهــم فهــذا عمــل طوبــاوي غــير مــألوف وغــير تقليدي.

وعــلى هــذا الأســاس كــان دائمــاً مــا يقــول لنفســه لا داعي للاشــتغال بمثــل هــذه الخيــالات الــتي لا تعــدو أن تكــون مضــيعة للوقت..

يتــذكر أنــه وكــأي مــواطن جديــد يــدخل المؤسســة تقتضــي الإجــراءات أن يخضــع لمــا يســمى عنــدهم "دراســة حالــة" يقابــل فيهــا النزيــل إحــدى الأخصــائيات تســأله خــلال هــذه المقابلــة جملــة مــن الأســئلة لا يعــرف بالضــبط مــا طبيعتهــا ومــا قيمتهــا.. ولا يــذكر كيــف كان تعاطيه معها ذلك اليوم!..

لكنــه وبعــد كلّ هــذه الفــترة لاحــظ كم زاد فضــوله لمــا يســمع عــن تــدخلات للمؤسســة يــتم بموجبهــا عــلاج بعــض القضــايا وحلهــا جزئيــاً أو كليــاً بالمصــالحة بــين النزيــل كمشــكوٍ والشــاكي مــن خــارج المؤسســة، أو بقضــاء ديــن أو شــطبه، ســمع مثــل هــذا الكــلام أو مــا هــو في معنــاه،

وبلغـه أيضـاً أن المؤسسـة وخـلال السـنوات الأخـيرة بـدأت تتـدخل لصـالح أسر الـنزلاء ممـن تقتضـي ظـروفهم المعيشـية حاجـة للتـدخل والمساعدة.

هل يصدق مثل هذا الكلام رغم كثرة قائليه..؟

أم يمـرره مثـل غـيره الكثـير مـن الحكايـات والشـائعات الـتي يقتات عليها نزلاء المؤسسة!..

لا يدري!..

وإنمـا يـدري أن بـه فضـول شـديد للوقـوف عـلى حقيقـة العديـد من هذه الأقاويل حتى يحكم علها بنفسه..

لم لا ..؟

ثـم إن في الموضـوع تسـلية عـلى أقـل تقـدير وتقضـية لهـذا الوقت الذي يمر متثاقلاً كأنما تشده إلى الخلف قوة خارقة.

يحاول مقابلة الأخصائي مسؤول التسويات..

فلـتكن البدايـة مـع الموظـف المخـتص بالتسـويات.. لنعـرف ماذا لديه وماذا يمكن أن يقدم..؟!

سـأقابله حـتى وأنـا متأكـد مـن أنهـم يضـحكون عـليّ مـن خلالـه، وأنا أساعدهم في الضحك عليّ..!

ألم أقل في البداية إنها مجرد تسلية وتمضية للوقت..؟!

بـدا مـن خـلال أسـئلته البسـيطة واتصـالاته المبـاشرة عـلى أصحاب الأرقام الـتي يـزوده بهـا الـنزلاء كمـن ينتظـر نتـائج ملموسـة ممـا يسميه تسويات!..

ولمست في كلامه يقيناً وثقة تدفع الكثير ممن يقابلونه إلى مستوى من الاطمئنان وارتفاع المعنويات كانوا بعيدين منها قبل لقائه والتحدث إليه!..

لا أزال غير مصدق لكل ما أشاهده وأسمعه.. ولا أستطيع أن أصدق ما لم يأت الدور عليّ، لأعرف هل حقاً بالإمكان التوصل إلى حل وسط بيني وبين بعض الدائنين!..

الطابور لا يزال طويلاً .. ودوري ربما يتم تأجيله ليوم قادم..

لاحظت أنني أصبحت مهتماً بالحديث عن هذا الموضوع أكثر من ذي قبل ورحت أتصيد الفرص للحديث مع كل واحد ممن تمت مقابلتهم لأستفهم عمّا حصل معهم..

هل توصلوا إلى بعض الحلول..؟

لم أتلق تلك الإجابة التي ستشفي غليلي..

فبعضهم يرد عليّ بابتسامة عريضة توحي بأنه يؤمل خيراً، وبعضهم يقابلني ببعض الجفاء والعبوس.. ويدفعني للتشاؤم أكثر مما أنا عليه!..

لا مشكلة.. خلال أيام قليلة سأكتشف بنفسي..

خلال هذه الفترة كنت كثيراً ما أسمع عن بعض المساعدات الخيرية التي تقدمها المؤسسة خلال بعض الحملات أو البرامج لصالح أسر النزلاء.. إنما لم يسبق أن طرقوا بيتي رغم ما أعلمه من حاجة أهله لمثل تلك المساعدات.

لكنهم ربما كانوا معذورين في ذلك لأنني على ما أتذكر لم أزودهم بالمعلومات الصحيحة عن وضع العائلة عندي.. فقد كنت ساعتها لا أزال على قيد الثراء والإحساس بالعظمة!..

يطلب مقابلة الأخصائية..

أما الآن فالوضع مختلف وعليّ أن أعترف بذلك.. لهذا لم أتردد في طلب مقابلة الأخصائية التي عرفت أنها المسؤولة عن الموضوع وبيدها تحريكه لو تم تبليغها بالوضع!..

جاءت الموافقة سريعة.. وطلبتني للمقابلة.. تطرقت خلال المقابلة لكل شيء.. حدثتها هذه المرة بمنتهى الموضوعية

والصـدق ..تحـدثت معهـا عـن كـل شيء عـن زوجـتي وبنـاتي وأبنـائي.. عن حاجتهم حتى للمصروف اليومي..

لـم تعلـق عـلى مـدى الاخـتلاف بـين مـا قـدمت لهـا مـن معلومـات هذه المرة وما أعلنت عنه في المرة السابقة..

ربما رفع عني الإحراج أنها لم تكن هي من قابلت أول مرة..

لقـد أعطيـت تلـك المعلومـات المغلوطـة لأخصـائية أخـرى.. هذا ما أعتقده!..

كانـت تسـجل كـل معلومـة مهمـة أدلي بهـا عـن العائلـة.. وربمـا تـدخلت لتوجـه الحـديث نحـو مـا تريـد الحصـول عليـه مـن معلومات..

انتهت المقابلة سريعة وخرجت من عندها مرتاحاً كمن أزاح عن قلبه هماً ثقيلاً..

لقد جعلتها تعرف كل شيء عن وضع العائلة.. وذلك الموضوع الذي طالما حرصت على تغطيته بستار من الكتمان.. لاعتقادي أنه لا فائدة من كشفه أمام أي كائن كان!..

وعدتني بخير.. واعتذرت عن عدم الوصول إلى عائلتي خلال هذه الفترة.. وهم في هذا المستوى من الحاجة ولديهم هذا الكم من المشاكل الذي تطرقت إليه خلال حديثي معها..

كان تواصلها على ما يبدو سريعاً مع أهل بيتي..

بل ربما كانت اتصلت في نفس اليوم وحددت مع زوجتي موعداً للزيارة!..

سند في بيت خليفة..

خلال مكالمتي اليومية مع الأهل تطرقت زوجتي للحديث عن ذلك التواصل فأكدت لها أنهم من المؤسسة وعليها التعاطي معهم بما يلزم والتعاون معهم كما ينبغي!..

مـن ذلـك اليـوم بـدأت أميـل إلى تصـديق مـا يقـال عـن جـديتهم في تقديم الخير للناس..

عـلى أيـة حـال أنـا الآن عـلى قارعـة أمـل جديـد وأنتظـر حصـول أشياء مفيدة لصالحي وصالح أسرتي!..

ثمـة خطـوة فعليـة عـلى مـا يبـدو في المسـار المتعلـق بالعائلـة.. بعـد زيـارة ميدانيـة علمـت أن الأخصـائيات قمـن بهـا للبيـت قـدمن خلالهـا فعـلاً بعـض المسـاعدات الأوليـة المهمـة للعائلـة.. قسـائم شرائيـة تابعـة للجمعيـة التعاونيـة وبعـض المسـاعدات العينيـة الأخرى!..

وأيضـاً وهـو الأهـم اتفقـن مـع سـمية.. عـلى الإعـداد لمشـروع اقتصـادي صـغير سـيعود عليهـا لا محالـة بمـردود جيـد، فقـد وجـدن لـدى زوجـتي اسـتعداداً تامـاً لتقبـل مـا تقـدمن بـه مـن أفكـار تتعلـق باكتسـاب الخـبرات والمعـارف الإعداديـة مـن الـدورات التدريبيـة إضافة إلى الحماسة الزائدة للتطبيق الميداني لكل هذه المعارف..

نشـــأت بيـــنهن بدايـــة علاقـــة كالصـــداقة وبـــدأت زوجـــتي في التدريب وأبانت عن شطارة وحماس ملحوظ..

وبحكم وضعها كزوجة لتاجر عقارات ورجل أعمال ناجح لم تواجه مشكلة في استيعاب أسرار إدارة المشاريع وفنيات الكسب والتربح في مجال البيع والمعاملات..

على الصعيد الآخر زادت لهفتي وتشوقي للتقدم خطوة باتجاه إتمام اللقاء الأول مع موظف التسويات..

سيعود إلى هذه الباحة في نفس اليوم من الأسبوع المقبل على أقل تقدير.. إن لم يأت قبل ذلك.. وعليّ أن أكون في مقدمة الطابور حتى يتسنى لي لقاؤه!..

رتبت أفكاري وأولوياتي.. واستعددت كما ينبغي للمقابلة!..

مقابلـــة الأخصـــائي مســـؤول "التســـويات والمصالحات"..

كـان المبلـغ المطلـوب عليـه ضـخماً للغايـة.. لاحـظ ذلـك في وجـه الموظـف عنـدما أبلغـه عنـه.. لكنـه عـاد فتـدارك وطمأنـه بمـا أنـه مـن مـواطني الدولـة .. فاحتمـال حصـوله عـلى حـل سـيبقى أولى مـن غـيره.. فقـد طلـب الموظـف أحـد الشـاكين أمامـه عـلى الـرقم الـذي أعطاه إياه.. ولكن للأسف لم يرد رغم أن هاتفه ظل يرن!..

لا عليـك.. سـأظل وراءه حـتى يـرد وسـأحاول أن أصـل معـه إلى حل!..

يعـرف خليفـة أن ذلـك الشـخص يفتقـد إلى كثـير مـن المرونـة ويُسْـر المعاملـة.. لكـن مـن يـدري إذا عـرف أنـه يتفـاوض مـع الحكومـة فقد يكون ذلك مدعاة للتساهل واللين!..

مـاذا عليـك يـا خليفـة لقـد بـذلت جهـدك، والبـاقي عـلى الله.. عسى الله أن يفرج عنك على أيديهم!..

لسـت في عجلـة مـن أمـري ولـيس لـدي مـا أخسـره مـن هـذه المحاولـة ..إن جـاءت بنتيجـة فهـذا مـا أتمنـاه وأرجـوه وإن بـاءت بالفشـل فقـد فشـلت قبلهـا محـاولات كانـت في نظـري أرجى وأجـدر بالنجاح!..

وانسـحبتُ صـامتاً مـن أمـام الموظـف.. وعـدت أدراجي تاركـاً المجـال لغـيري ممـن يؤملـون الحصـول عـلى نتيجـةٍ مـن مثـل هـذه المقابلات..

ورحـت أقلـب الاحتمـالات وأفكـر فيمـا سـتأتي بـه الأيـام القادمة!..

أمتلـك يقينـاً قويـاً بـأن الأمـور لـن تظـل عـلى هـذا المسـتوى مـن الجمـود، وسـيأتي اليـوم الـذي تتمـايز فيـه خيـوط هـذه العقـدة وتعـرف فيه مشكلتي طريقها إلى الحل..

كـل شيء سـيفيدني إلا الجمـود والاستسـلام.. لهـذا عـلي ألا أتوقـف عـن الحركـة والبحـث عـن حـل، لـم أعـد أؤمـن بقـوة الأسـباب مـن ضـعفها، فقـد بـات واضـحاً بالنسـبة لي بحكـم التجربـة أنّ مـا يمكـن أن يجنيـه المـرء مـن وراء سـبب يعتـبره ضـعيفاً قـد يكـون أبلـغ

بكثير وأجدى من نتائج أسباب يصنفها في خانة القوة وضمان التأثير!..

تيقنت من ذلك عندما علمت من زوجتي أن لقاءها بالأخصائيات كان بمثابة فتح عليها بعدما جربت التعامل مع العديد من الجهات.. دون أن تجد منهم مثل ما وجدت مع هؤلاء البنات ..

خصوصا بعدما تلقت منهن دعوة الانخراط في برنامج "سند" والاستفادة من دورات التدريب والإعداد بفضل هذا البرنامج ولاحقاً دخولها مرحلة التنفيذ للمشاريع المربحة الصغيرة التي يرعاها هذا البرنامج رعاية كاملة..

كـان نصـيبها منـه في مجـال المتـاجرة بالسـلع المتنوعـة مـا تصـنعه منهـا في البيـت ومـا تشـتريه مـن غيرهـا وتبيعـه بنسـبة ربـح تغطي تكلفة المجهود المبذول في الحصول عليه..

سـاعدها تـوفير سـوق عـرضٍ جيـدةٍ يكفلهـا البرنـامج للمنتسـبات لـه في تحقيـق نسـبة ربـح مشـجعة.. إضـافة إلى المواكبـة المسـتمرة من القائمين على البرنامج!..

نشـاطها الزائـد وذهنيتهـا المتقـدة خولـت لهـا المشـاركة معهـم عـلى أكـثر مـن صـعيد رافضـة أن تحشـر نفسـها في زاويـة محـددة.. أو نشاط بعينه..

لأجـل ذلـك كـان دخلهـا متمـيزاً بحيـث اسـتطاعت بفضـله أن تتـدبر جميـع مسـتلزمات العائلـة.. ذلـك النجـاح الـذي انعكـس إيجابـاً عـلى العديـد مـن منـاحي حياتهـا بعـدما كـادت تستسـلم لنوبـة مـن الاكتئـاب والتـأزم النفسـي خصوصـاً في الفـترة اللاحقـة عـلى سـقوط زوجهـا في السـجن وافتقادهـا للعديـد مـن المزايـا والخصوصـيات، ومواجهتهـا الشخصـية لمسـؤولية عظيمـة أحسـت بـادئ الأمـر أنهـا أكبر منها بكثير..

لكـن بـدخولها لهـذه التجربـة الناجحـة بـدأت تستشـعر راحـة نفسية وإقبالاً على الحياة..

حتى ما كانت تصنفه في باب المرض الجسدي والإعياء، انحسر تدريجياً ثم اختفى حتى لم يعد هنالك ما تشكو منه أو تعانيه..

والسر على ما يبدو يكمن في النجاح الباهر الذي تكللت به تجربتها المتميزة مع برنامج "سند" كما تحرص دائماً على الاعتراف بذلك..

فهذا النشاط المتنوع الذي أخذ منها كلّ الوقت والتركيز، وأمدها بقوة إضافية وسعةٍ في الأفق وأيقظ في نفسها إحساساً بمسؤوليةٍ طالما رمتها على عاتق زوجها واكتفت بأدوار ثانوية في ظله ..

جعلها الآن ورغم كل الصعوبات والمتاعب ممتنة للظروف التي منحتها هذا الشعور العظيم..

فمجرد إحساسها بأنها تنهض بهذا الكم من المسؤوليات الجسام هو في حد ذاته دليل على أنها فعلا تشغل حيزاً مهماً من فضاء هذا الكون.. وأنها حققت الهدف والغاية من وجودها كإنسان.

وهي ورغم كل هذه الحفاوة بالمنجز تعتقد مع ذلك أنها إنما خطت خطوتها الأولى في تحقيق ذاتها وأثبتت لنفسها وأسرتها ولزوجها على وجه الخصوص أنها جديرة بكل ثقة وضعها فيها عندما كان مناط مسؤوليتها في حدوده التقليدية والمعتادة.

وتريد أن تبعث له برسالة ضمنية أنه لا خوف عليها ولا على عيالها في ظل مناخ يقدم كل هذه التسهيلات ويمهد الطريق ويقدم الدعم اللازم لكل إنسان يمتلك إرادة النجاح..

وطبيعي أن يكون خليفة على اطلاع بكل ما حصل مع زوجته وعائلته.. لذا فإنه عايش هذه الأحداث بمزيد من الثقة والاطمئنان ساهم في دحرجة صخرة الهموم من أمام ناظريه.. واتضحت رؤيته أكثر فأكثر حول جملة من المواضيع تأتي على رأسها محنته الحالية وما صار يمتلكه من إحساس باقتراب حلها بعدما شاهد وسمع عن أشخاص مروا من هذا المكان في ظروف مشابهة ثم غادروه بعدما تمكنت المؤسسة بأساليبها وعلاقاتها الخارجية من تسوية قضاياهم وتخليصهم من مديونيات ضخمة..

يعتقد الكثير من زملائه في هذه المؤسسة أن الحظ يلعب دوراً بارزاً في إسعاد أشخاص دون آخرين بغض النظر عن حجم الديون وطبيعة الدائنين..

ولعل ذلك ما يبعث في نفسه مزيداً من الأمل ما دام الجميع متفقاً على إمكانية حصول تسويات لصالح مدينين بمبالغ كبيرة كما حصل بالفعل مع أكثر من واحد..

عامل آخر يحثه على التفاؤل ويدعوه إلى الثقة في وعود هؤلاء الجماعة وجديتهم في السعي له ولغيره بنية صادقة واجتهاد..

يتعلق الأمر بسمية زوجته التي أصبحت على علاقة وثيقة بالأخصائيات وتطلع بحكم تلك العلاقة على تطورات سعي المؤسسة بشأن قضيته، فقد تَعْلَمُ أن القائمين على هذا الملف يرمون بكل ثقلهم من أجل تسهيل إجراءات التسوية بينه وبين مختلف الدائنين.

وفعلاً كما أخبرته في آخر اتصال أجراه معها، ها هو موظف التسويات يطلبه في اليوم التالي ليؤكد له أن أقلّ الدائنين مرونة وافق على الصيغة المقترحة للتسوية..

تباشير الأمل والخلاص...

تلـك إذاً غُمـةٌ انزاحـت مؤذنـة ببدايـة انفراجـة لهـذه القضـية المعقـدة ..وصـار بإمكـاني الآن أن أتنسـم عبـير الحريـة، أعـرف أن مـا تـم لـيس كـلّ شيء في هـذا الموضـوع ولا يعـني أنـني أصـبحت حـراً بالفعـل.. لكنـه مـؤشر جيـد عـلى اقـتراب حصـول ذلـك بعـدما كـدت أيأس من حصوله!..

جلسـت في المـرة الموالية مـع هـذا الموظـف الـذي حمـل لي البشـارة، واجتهـد كما علمـت ذلـك في ملاطفـة خصـومي وحـثهم عـلى قبـول عـروض التسـوية الـتي تنطـوي هي الأخـرى عـلى تفاصـيل كثـيرة يعـود لـه وللمؤسسـة الفضـل- بعـد الله- في توليفهـا وتحصـيلها مـن مصادر مختلفة.

فأنـا وكمـا سـبق أن أعلنـت اسـتنفدت كـلّ جهـودي ومحـاولاتي في سـبيل حـل هـذه الأزمـة الـتي رحـت ضـحيتها لكـن جهـودي بـاءت بالفشل ووصلت في كل محاولاتي إلى طريق مسدود .

ولـولا أن المؤسسـة لـم تكلـني إلى جهـدي ومقـدراتي الشخصـية لمـا وصـلت إلى هـذه المرحلـة المتقدمـة مـن المصـالحة مـع هـذا العدد وهذا النوع من الدائنين!..

وأعتقد أنه من اللازم- حتى لا أصنف ناكراً للجميل- أن أرفع لمثل هذا السعي القبعة، وأن أعرب صراحة عن بالغ تقديري وامتناني للجهات التي تقف خلفه.

شكراً للمؤسسة العقابية والإصلاحية بالشارقة ومن خلالها للقيادة العامة لشرطة الشارقة على ما يقدمون من خدمات غاية في النبل والتحضر ..

شكراً لفاعلي الخير والمحسنين على تعاونهم الطيب الذي أوصل هذا العمل إلى مداه ..

شكراً من القلب لكل من شارك من قريب أو بعيد في تفريج كروب المكروبين من أبناء هذا الوطن والمقيمين على أرضه المعطاء!..

لقد كان التدخل النبيل لصالح هذه العائلة على مستويين لا يقلان أهمية عن بعضهما من حيث الأهمية والنجاعة..

فعلى مستوى الأسرة تتجلى معالم المبادرة المتميزة تحت يافطة "سند لدعم أسر النزلاء.."

وكيف وفق هذا البرنامج أيما توفيق مع هذه الأسرة الكبيرة من حيث العدد والتي وجدت نفسها في لحظة تحت مستوى خط الفقر بعدما كانت تصنف في عداد الأسر الميسورة..

استطاع هذا البرنامج تنفيذ خطة محكمة أخذت هذه العائلة بسلاسة من بؤرة الحاجة والفقر المدقع إلى مستوى الاكتفاء والاعتماد على الذات..

وتلك مهمةٌ أبعد ما تكون عن السهولة واليسر، إذا ما أخذنا في الاعتبار حيثيات الواقع وعوامل الظرف وتعقيدات الحياة..

ولو أن هذا النجاح تحقق بتضافر مجهودات رجال قادرين على البذل والعطاء لما كان في الأمر ما يستدعي كل هذه الإشادة وكل هذا التشهير.. ولكن لأنها امرأة لم تتسلح بتجربة غنية أو خبرة كافية فهذا ما يرفع من شأن هذه التجربة ويعطيها قيمة مضافة فوق ما هي عليه.

أما على المستوى الثاني فإن نمط التدخل يستحق الكثير من الإشادة والتنويه.. فإسقاط دين بهذا الحجم الكبير وتسويته بمثل هذه السلاسة لا بدّ أن تصنف في خانة الإنجازات المحسوبة.

وبهما تكون المؤسسة قد قدمت نموذجاً راقياً من الرعاية والتأهيل تجاوز الأبعاد التقليدية والأنماط المعهودة للإصلاح من

خـلال مـا سـجله البرنـامج والمبـادرات مـن إعـادة ميـاه علاقـاتٍ إلى مجاريهـا، ورتـق فتـوقٍ مـا كـان لأجزائهـا أن تلتـئم لـولا حنكـة وحكمـة المباشرين للعملية العلاجية المعقدة..

ولـيس مـن الموضـوعية بمكـان إنكـار مسـتوى الـرقيّ والإبـداع في أسـلوب تنـاول هـذه العينـة والمشـاكل الاجتماعيـة ومعالجتهـا بمثـل هذه النجاعة والفاعلية..

وسـواء كانـت هـذه الطريقـة معتمـدة مـن قبـل أو مسـتحدثة ومبتكـرة مـن طـرف المؤسسـة العقابيـة والإصـلاحية في الشـارقة، إنمـا تظـل العـبرة في النتيجـة الملموسـة الـتي حققتهـا والتـأثير الإيجـابي الكبـير الـذي خلفتـه لـيس عـلى المسـتفيدين فحسـب بـل وأكـثر مـن ذلك على المجتمع برمته.

فمجـرد إثـارة مثـل هـذه العقليـات وتشـجيع مثـل هـذه الحلـول هـو في حـد ذاتـه إنجـاز كبـير لا بـد مـن الإشـادة بـه والإشـارة إليـه مثـالاً يحتذى وأسلوباً يقلد ويتبع..

فالسـير عـلى نهجـه وتطـويره لا شـك أنـه سـيكون مـن أفضـل الخيـارات والمنـاهج المجتمعيـة المعـززة لتكافـل المجتمـع وتسـامحه وسعادته..

والـذي لا بـدّ مـن الإشـارة إليـه هنـا هـو أن العديـد مـن هـذه الـبرامج والمبـادرات الموجهـة لفئـة مجتمعيـة بعينهـا حـتى ولـو لـم تكـن مدرجـة في المبـادرة الـتي يفـترض أننـا نتناولهـا بهـذا الكتـاب "مبادرة سند".

كـالمير الرمضـاني وكسـوة العيـد والمصـالحات والتسـويات المتعلقـة بالـديون المسـتحقة عـلى الـنزلاء، وتشـجيع المحسـنين وفـاعلي الخـير عـلى تسـديدها وتسـويتها وغـير ذلـك، كـلّ هـذه المبـادرات الحسـنة تصـب في النهايـة في قالـب واحـد هـو حمايـة المجتمـع وإصـلاح ذات بينـه وتجسـير فجـوات التبـاين والخـلاف فيـه ومعالجـة المشـاكل والأزمـات الـتي لا يمكـن أن يخلـو منهـا أيّ مجتمـع في الكون.

ويـبقى الفـارق الـذي يتمـيز بـه هـذا المجتمـع عـن ذاك هـو طبيعـة التعـاطي مـع مثـل هـذه المشـكلات والبحـث لهـا عـن الحلـول، ومصـداقية هـذه الحلـول وقـدرتها عـلى استئصـال هـذه المشـكلة والقضاء عليها.

تلـك المشـكلة الـتي برهنـت بـرامج كسـند ومـا شـاكلها مـن مبـادرات عـلى تميـيز المجتمـع الإمـاراتي وانفـراده بهـا كمجتمـع قـادر على احتواء أمراضه ومعالجة أوجاعه بأساليب فريدة وفعالة.

ويظل العامل المشترك الذي يربط بين كل هذه البرامج والفعاليات هو النزيل، ذلك الإنسان الذي تضطلع المؤسسة بتحمل مسؤوليته الكاملة وتسخر كلّ ما لديها من إمكانيات ومؤهلات وأفكار ابداعية وتوجهات لعلاج مشكلاته والبحث الدؤوب عن أحسن وأنجع الحلول لها متجاوزة في ذلك الحلول التقليدية الضيقة لهذه المشكلة إلى أبعادها وجذورها العميقة، ولعلّ ذلك ما يفسر الوصول إلى محيط النزيل وذويه وبيئته الخارجية وظروفه التي قادته إلى ارتكاب مخالفة وجعلت منه نزيلاً..

نعم.. إنها بالفعل رؤية واضحة ونظرة عميقة تبحث في العلل والأسباب قبل المظاهر والأعراض وتدعو إلى تسخير كافة الجهود والمقدرات بغية التشديد على المشكلة ومحاصرتها حتى لا تتيح لها أبسط فرصة لمغافلة العلاج واللعب على مكامن ضعفه.

الأمر الذي من شأنه أن يضمن سيطرة كاملة على هذه المشكلة مهما كانت عسيرة ومتجذرة.

ومن غير شك فإن جل أو كل هذه الاشتراطات حاضرة بقوة في البنية الأساسية لهذا البرنامج الذي بين أيدينا من دراسة المشكلة وتحجيمها ومعرفة أسبابها وتصور مخاطرها وآثارها

السلبية على المجتمع، إلى طرح واقتراح أفضل سبل حلها والتغلب عليها، والحيلولة دون استشرائها.

وأيضاً وأهم من ذلك، التقدم بخطوات وإجراءات فعلية على مستوى علاج المشكلة ومحاربتها..

وحرصاً من القائمين على هذا البرنامج على إبداء المزيد من الإصرار والجدية.

وفي مهمة التصدي لهذه المشكلة تتواصل على مستوى إدارة المؤسسة والقيادة العامة لشرطة الشارقة حملات التوعية والتوجيه الداعمة لهذا المجهود سواء بالدورات المخصصة

للعـــائلات المســـتهدفة أو بحمـــلات التوعيـــة والإعـــلام الموجهـــة للجمهور من أجل المساهمة في هذا المجهود المجتمعي الهادف..

دون إغفـال التركـيز عـلى جهـود الرفـع مـن مسـتوى المـدربين الـذين تقـع عـلى كـواهلهم مهمـة تـدريب أو إعـداد المنتسـبين الجـدد الـذي يطمـح البرنـامج إلى إكسـابهم الخـبرات والمهـارات في مجـال إدارة المشـاريع الصـغيرة والمتنوعـة، حـتى لا تـبقى الجهـود المبذولـة في هـذا المجـال متوقفـة عنـد مسـتوى معـين مـن التخصـص والمهارة..

وربمـا يكـون في ذلـك دعـوة إلى كـل مـن يجـد في نفسـه مقـدرة عـلى المسـاهمة في هـذا المجهـود ماديـاً أو نظريـاً للمبـادرة بالتواصـل مـع الجهـات المختصـة لشـرح أو طـرح مـا لديـه مـن إسـهام في هـذا المجـال. مـن منطلـق أنهـا مسـؤولية مشـتركة لا مـانع لـدى القـائمين عليهـا مـن تعـاون كل مـن لديـه اسـتعداد أو يملـك إضـافة مـن شـأنها أن تزيـد الفكـرة نضـجاً وتطـوراً، فالآمـال في هـذا الصـدد جسـام والطموحـات غـير محـدودة والاحتمـالات كلهـا مطروحـة، إلا التوقـف والتراخي..!

سند في بيت أم منصور يفيد ويستفيد..

سند في بيت أم منصور يفيد ويستفيد..

تارة تكون كل المؤشرات تدل على أن ما ستحمله الأيام القادمة ليس على خير ما يرام، تماماً مثلما قد تتوالى الإشارات المبشرة بحتمية حصول ما هو جيد في المهمة التي أنت بصددها.. دون أن يكون هنالك دليل ملموس يؤيد هذا الاحتمال ويؤكد عليه..!

ذلك هو اقتضاء المنطق.. أو إيحاء الدلالات..

فالطريق الذي يوصلك إلى نهاية معينة عادة ما يطارحك ما يلزم من المعلومات ببعض الصراحة، وعليك أن تحدد موقفك وتأخذ قرارك بالمضي أو الإحجام بناء على ذلك الحدس الخفي الذي يزودك بصورة ما بين الغموض والوضوح عن نهاية تنتظرك..

إلا أن تتغافل وتمضي غير آبهٍ لما تعنيه الإشارات..!!

بعض الناس يقع في تلك الزلة عن قصد وسبق إصرار والبعض يبدأ الطريق لا يعي عن بدايته أكثر مما يعي عن نهايته...

قـدره هكـذا أو مؤهلاتـه لا تتـيح لـه خيـار القـراءة والتميـيز... ويمضـي عـلى بركـة الله قـد يصـادفه الـنحس والتعـثر... وقـد يحملـه الحظ إلى أسعد النهايات...

لكـن عنـدما يشـغل الحـظ حـيز القيـادة في سـفينة الحيـاة فـإن احتمـال حـدوث السـعد وارد، وكـذلك احتمـال حصـول الـنحس وارد هو الآخر إنما بدرجة أكبر ونسب أوفر وأكثر!..

بوجـه خـاص عنـدما يتعلـق الأمـر بمصـائر الأسر و أقـدارها في الحيـاة حيـث تميـل الكفـة في الغالـب لصـالح الانـزلاق والفشـل باعتبار ما يتطلبه تدبير شؤون أسرة والنهوض بمسؤولياتها...

فعـلى سـبيل المثـال قـد لا تـدرك أم منصـور أن الطريـق الـذي سـلكته بعائلتهـا الكبـيرة مظلـم ومـوحش النهايـات مـا تركـت الأمـور تجـري عـلى أعنّتهـا دون فرملـة أو توجيـه، وقـد تكـون مـن البسـاطة بحيـث لا تعتـني بالقـادم ولا تراعيـه بقـدر مـا يؤرقهـا الحـاضر وتسـعى فيه!...

منصور ومحاولة النهوض بالعائلة..

لكــن مــاذا تســتطيع أم منصــور أن تفعــل إزاء كأســها المترعــة بالهموم..؟

بعـدما ترجـل زوجهـا فجـأة وتركهـا وحيـدة في معـترك الحيـاة مـع تســعة مــن العيــال لا يبشــر مســتقبلهم ســوى بــالبؤس والشــقاء والمعاناة...

إذ لـم يتعلمـوا صـغاراً ولـم يشـتغلوا كبـاراً، باسـتثناء منصـور ابنهـا البكـر الـذي حـاول أن يتحمـل مسـؤولية العائلـة بعـد أبيـه، فسـار عـلى غـير بصـيرة يـتلمس الـرزق لا يبـالي مـن أيـن يأتيـه، فتقاذفتـه أمـواج الحيـاة العاتيـة، تـارة يطاوعـه الـرزق ويأتيـه منقـاداً وطـوراً يعانـده فـلا يكاد يقيم أود هذه العائلة الكبيرة!...

وتلـك في الواقـع نتيجـة حتميـة ومصـير متوقـع لكـل مـن يـدخل معركـة لا يمتلـك أسـلحتها الضـرورية ولا يحسـن التخطـيط لحيثياتهـا وأحـداثها المتقلبـة، كحـال منصـور في هـذا المعـترك بالـذات، لـو أخـذنا بعـين الاعتبـار حجـم المسـؤولية وحساسـيتها مقارنـة بالمقومـات الـتي يسـتند عليهـا في محاولـة كسـب هـذا المعـترك، مـن عامـل السِّـن، إلى

المستوى المعرفي، إلى الخلفية الاجتماعية أو التربية الأسرية السليمة التي افتقدها شأن جميع إخوته بعد وفاة والده المبكرة وعجز والدته أو قصورها عن القيام بذلك الدور على الوجه الصحيح...

إضافة إلى الوسط أو طبيعة الرفقة التي أطرت وعيه واستنهضت همّته للعب دور الأب مع عائلته من دون أن يحصّن ذلك الوعي بمستوى من الثقافة والمعرفة...

وإنما فقط بوصفه الابن الأكبر وعليه أن يحتل الصدارة ويقوم بالواجب.

وحتى إذا كان ذلك الاعتبار جيداً ومحموداً من الناحية الأخلاقية إلا أنه يفتقد- كما سيتبين من تجربة منصور- إلى الركائز الأساسية التي تحصنه وتسلك به المسار الآمن والصحيح.

وطبيعي ألا تعني تلك الحقائق والاعتبارات الشيء الكثير لمنصور لكنه أخذ على عاتقه أن يكرس حياته لأمه وإخوته وأخواته، وأن لا يألو جهداً يمكنه من الوفاء بمتطلباتهم حتى لو كلفه ذلك المغامرة بحياته وحريته...

فاشتغل بكل شيء أحسن اشتغاله... وتحين كل فرصة... ودخل من كل باب، ليكون لهم أباً وابناً واستطاع بوسائله البسيطة

ومؤهلاتـه الضـعيفة أن يغـطي كـل مـا هـو ضروري وأسـاسي في حيـاتهم اليوميـة واسـتمر عـلى هـذا النحـو فـترة مـن الـزمن تسـاعده الوالـدة طـوراً وإحـدى البنـات أحيانـاً مسـاعدة لا تزيـد قيمتهـا عـلى أنهـا همـة وإحسـاس بحجـم المسـؤولية والمعانـاة الـتي يواجههـا في سـبيل تأديـة ذلك الواجب العسير...

سقوط منصور في قبضة العدالة..

حـتى إذا مـا طابـت نفـس أم منصـور وتاقـت روحهـا لمقـام لائـق أطمعتهـا بـه وفـرة جديـدة لاحظتهـا عليـه وأعطتهـا أمـلاً قويـاً في الخـروج مـن حالـة الضـيق والضـنك، الـتي قطعـت بهـا مـا مضـى مـن سـني عمرهـا بعـدما ترملـت وعاشـت وعيالهـا في كنـف الحاجـة والحرمـان. حـتى إذا مـا بـدأت تتطلـع إلى ذلـك المقـام فاجأهـا خـبر بطعم الخيبة والصدمة...

منصـور يترجـل عـن مسـؤوليته وهـو عـلى قيـد الحيـاة، لقـد وصـلها الخـبر الحـزين الـذي يفيـد أن منصـور لـم يعـد قـادراً عـلى تـأمين أي شيء كما عودها خلال الفترة الأخيرة.

هكـذا فجـأة دون سـابق إنـذار قـررت السـلطات أن توقفـه عـن ممارسة أي نشاط..

أن تودعه في الحبس..!

ماذا فعل يا ترى ليستحق هذا الجزاء ..؟

سـقط منصـور في قبضـة العدالـة وحكـم عليـه بالمؤبـد جـراء إدانته بقضية الاتجار بالمخدرات!...

يا لها من خيبة بالغة وصدمة كبيرة!...

يـا لهـا مـن مصـيبة لا تـدري أم منصـور كيـف سـتنعكس عليهـا وعلى عيالها المساكين!...

كيـف تحطمـت آمالهـا فجـأة، وعـادت بهـا عجلـة الحيـاة إلى مـا قبل المنطلق الصعب..؟

ماذا فعلت بي يا منصور..؟

سقوطك بهذه الطريقة أمرُّ وأقسى عليّ من موت أبيك!..

أبعــدَ مــا أحسســت لأول مــرة بــأنني خلَّفــت رجــلا سينســيني سنوات الشقاء والعذاب..!

أبعــد أن بعثــتَ في نفســي الإيمــان بقيمــة الوجــود والحيــاة تغادرني هكذا فجأة للألم والحسرة والمعاناة..!

يا ليتني مت ولم أسمع بهذا الخبر..

لكــن مــاذا تســتطيع أم منصــور أن تفعــل إزاء أقــدار رمتهــا بالترمل مرتين:

مــرة عنــدما مــات زوجهــا وتركهــا تكــدح منفــردة مــن أجــل إطعــام زمرة من عيال لا تعرف لإطعامهم سبيلاً...

ومــرة عنــدما توقــف منصــور مبكــراً عــن ســد ثغــرة مــا كــادت تصدق قبله أن تسد..؟!

كيــف لهــا أن تــزاوج بــين دور المربيــة والمعيلــة في آنٍ بعــد مــا أعياها هذا الدور قبل أن ينهض به منصور...؟

الآن وقــد كــبر العيــال وتشــعبت مطــالبهم وتعســرت الســيطرة عليهم..!

في هذه اللحظة الحرجة يا منصور..؟

مـــا كـــان يجـــدر بـــك أن تنســـحب هكـــذا في هـــذه اللحظـــة بالذات!...

ما كان لك أن تفعلها يا منصور!...

أمّـا مـا هـو المؤبـد ومـا هي التجـارة فهـذه أمـور مبهمـة نوعـاً مـا بالنســـبة لأم منصـــور ولا يهمهـــا كثـــيراً أن تفهـــم مـــا تعنيـــه تلـــك المصطلحات بالضبط...

كـل مـا تعرفـه أن ابنهـا الـذي انتظرتـه كثـيراً وعوَّلـت عليـه توقـف قســرياً عــن الوفــاء بأقــل القليــل ممــا كــان يقــوم بــه ويؤديــه مــن أدوار بالغة الأهمية والضرورة بالنسبة إليها ...

وأنـه وكمـا أبلغهـا سـيغيب سـنوات وسـنوات وربمـا لـن يعـود قبـل فوات الأوان!...

وعليهـا أن ترتـب أوراقهـا مـن جديـد وتسـتحث في بقيـة العيـال من يساعدها ويعينها كما كان يفعل منصور!...

مــن بــين بناتهــا الثلاثــة هنالــك واحــدة فقــط لــديها الرغبــة في المساعدة والميل المبدئي للمشاركة في شؤون البيت..

ولا أمـل في الأخريـات حسـب تقييمهـا الـدقيق لهـن والمبـني عـلى تراكمات عديدة من التجارب والمحاولات...

ولا يـزال الوقـت مبكّـراً عـلى انتظـار ذلـك مـن بقيـة أبنائهـا الذكور!...

بل ربما لا تكون المعضلة الكبرى فيمن يدعم ويساعد..!

ولكـــن المعضـــلة الحقيقيـــة هي في مـــاذا يســـاعدها مـــن سيساعدها من هؤلاء العيال..؟

لا شيء!!...

فالإمكانيـــات غايـــة في التواضـــع... ومصـــادر التمويـــل شـــبه معدومة...

لا خبرة، ولا فكرة ولا وسيلة للعيش!...

فقط هنالك بعض المساعدات التي قد لا تجيء...

وهبـات يتفضـل بهـا بعـض أهـل الخـير في ظـروف ومناسـبات غير منتظمة.

حـتى مهـارة ابنتهـا في مجـال الحياكـة والتطريـز تعتـبر لاغيـة في ظل ظروف بالغة الشح والقلة!...

ولا فـائض مطلقـاً يمكـن تـوفيره لتمويـل نشـاط تجـاري يسـتغل هذه المهارة مهما كانت الآمال المعلقة عليه!...

فكـل المـداخيل والمـوارد موجهـة لسـداد الضـروريات والـتي بات جلياً عجزها عنها بعد غياب منصور...

فالوضـع غايـة في القتامـة، والمسـاعدة الوحيـدة الـتي تأملهـا أم منصـور مـن بناتهـا في مثـل هـذه الظـروف هي أن تحمـل إحـداهن عنهـا مؤونـة الوقـوف في طـابور طلـب العـون والـدعم مـن أي جهـة تفـتح أبوابها لاستقبال طلبات الدعم والإعانة...

عسـى إحـداهن تكـون سـبباً في جلـب منفعـة أو رزق مـن أبـواب الخير...

أمـا أن تفكـر في حملهـن عـلى العمـل والإنتـاج فتلـك غايـة بعيـدة وطموح كبير لا ترشح أم منصور له نفسها ولا تطمعه من بناتها.

وحـتى إذا كانـت تعـرف في نفسـها قـدرة عـلى العمـل والإنتـاج إلا أن عقبـة التمويـل تـدفعها قسـراً إلى عـدم التفكـير بـذلك المجـال وتقنعهـا بطـرح ذلـك الطمـوح حـتى لا تضـيع عـلى نفسـها فرصـة ولـو ضـئيلة لنيـل نـوال لا ينفعهـا بقـدر مـا يكـرس عجزهـا واعتمادهـا الأبدي على الناس.

هل تلام أم منصور على هذا النمط من التفكير..؟

هل تحَمَّلُ مسؤولية تكريس العجز والاتكال..؟

قـد لا يكـون مـن الصـواب تحميلهـا تلـك المسـؤولية أو قـد لا يكـون مـن الموضـوعية ملامتهـا عـلى ذلـك الأسـلوب فالـذي يفكـر بأمعاء أبنائه معذور في كل نهج ومذهب...

والـذي يريـد أن يـبقى عـلى قيـد الحيـاة لا يملـك المفاضـلة بـين الخيـارات المتاحـة، ولا يملـك حـق النظـر في أخلاقيـة الأسـلوب وأناقة المنهج.

ولأجـل هـذا لـم تفكـر بشـغل نفسـها وابنتهـا بمهنـة لا تملـك مقومات تمويلها ..

ولا تـرى قيمـة للاشـتغال بهـا كمصـدر للـدخل- عـلى الأقـل- في ظل الظروف الحالية التي تمر بها العائلة!...

هـذه الظرفيـة الـتي لا يضـاهيها قسـاوة وصـعوبة في مخيلـة أم منصـور إلا لحظـة وفـاة زوجهـا قبـل أكـثر مـن خمـس سـنوات، ومـا تلاهـا مـن تشـتتٍ وألـم ومعانـاة كان مـن أبـرز ملامحهـا تسـربُ بالجملـة لـلأولاد والبنـات مـن المدرسـة وانفـراط عقـد الضـبط وفقـدان السـيطرة والتوجيـه الـذي عـززه غيـاب الـوعي بأهميـة الدراسـة والتعلـيم وضرورتـه لتكـوين الأبنـاء وبنـاء مسـتقبلهم، فضـلاً عـن عجزها عن الوفاء بمستلزمات تلك المهمة الشاقة والمعقدة...

فكانت نشأتهم على قارعة الانحراف والضياع ليزداد عليها الحمل وتتعقد مهمتها ويتعكر مزاجها ويتفاقم لديها الإحساس بالعجز والانكسار...

منصور واللجوء إلى سند..

ولم يكن منصور في محبسه بأفضل حالاً من والدته المشتتة، فالسجن ليس هو المكان المناسب لتحقيق حلمه في الوفاء بالتزامٍ قطعه على نفسه: ألا يترك أمه وأخواته للفقر والحاجة!...

لكن ماذا بوسعه وقد أساء التقدير...

وتسبب عن جهل وسوء تقدير في وأد حلمه وتدمير حياته!...

بماذا يستطيع أن يساعد أهله وقد انقطع به الطريق في هذا المكان الكئيب...

والـذي لا يملـك فيـه أمـر نفسـه، أحـرى أن يسـعى في حاجـات أمه وأخواته..؟!

تلك مهمة لا يملك منصور حتى حق التفكير فيها باعتقاده...

لأنـه لا شيء في هـذه الظـروف يـدعو للتفكـير في الصـعب أحـرى في المستحيل!...

بـل عليـه في البدايـة أن يفكـر قبـل كـل شيء في استكشـاف هـذا المكان ومعرفة ما فيه من مزايا وإيجابيات!..

وعاد الشك يعصف بذهنه من جديد

هل فعلاً لا بد من وجود مزية وفائدة في كل شيء؟

حتى ولو كان بالغ السوء والضرر؟!

فقـد بـات يـؤمن منـذ تعـرف عـلى شـلة الضـياع والانحـراف، بأنـه لا يوجـد في هـذا الكـون شـخص ولا مكـان ولا شيء إلا ولـه فائـدة وفيه مزايا طيبة مهما بدا سيئاً وضاراً..!

ولكـن العبقريـة تكمـن في اسـتخلاص ذلـك المفيـد واسـتخراجه من قالبه و إطاره ..

حكمة من نوعٍ ما تعلمها منصور من شلة الرفاق السيئين ساعده مستواه الثقافي ووعيه الديني المتدنيان على تبنيها واعتمادها حقيقة حد اليقين..

حتى بعدما كان من تبعات الأخذ بها وتصديقها ما آل إليه وضعه في السجن...

إلا أنه مع ذلك لا زال في حكم القناعة أن ما حصل كان بسبب خطأ ارتكبه في تنفيذ مبادئ وتعليمات الأخذ بهذه الحكمة الثمينة التي تعلمها من أصدقاء السوء!...

الحقيقة الوحيدة المؤكدة الآن في ذهن منصور وواقعه هي شل قدرته عن السير في درب حلمه النبيل لخلافة أبيه كفيلاً وراعياً لأمه وأخواته.

وبات لزاماً عليه أن يفكر في أفضل طريقة لاستغلال هذا الواقع وتطويعه ليكون مفيداً قدر الإمكان في خدمة ذلك الحلم الأخلاقي الكبير فعندما يتذكر كل تلك التلميحات والإشارات التي تلقاها بمراحل مختلفة من مراحل دخوله إلى هذا المكان الكئيب كما يفضل أن يصفه، يدرك أن هنالك ما يمكن فعله إذا صدق الحدس وتأكدت الإشارات...

فلماذا لا أحاول..؟

لماذا لا أصدق ما سمعت ما دام لم يعد هنالك من أمل في نقض حكم المؤبد أو تخفيفه..؟!

وبات عليه أن يتعايش مع ذلك الوضع كحقيقة وواقع..

فبدأ يستكشف المكان ويتطلع إلى معرفة كل ما يمكن معرفته عنه: ما هي الأشياء المميزة والمفيدة فيه..؟

ما هي الفائدة التي يمكنه أن يجنيها من وجوده حبيس هذه المؤسسة..؟

وماذا تطلبُ هذه المؤسسة من نزلائها وماذا تعطيهم..؟

وأهم من كل هذا بماذا يمكنه أن يفيد والدته وأخواته من هذا المكان؟

علم من خلال استقصائه للأخبار المتعلقة بمجالات تدخل المؤسسة لصالح النزلاء أن هذه الأخيرة دخلت مرحلة مستحدثة من الدعم والتأهيل تتجاوز النزيل إلى أهله في حالات معينه تراعي أوضاع العائلة ومستواها المادي بالإضافة إلى جملة من المواصفات والاشتراطات التي لاحظ أنها تنطبق بشكل كامل على حالة أهل بيته.

توقف منصور كثيراً عند هذه النقطة التي بعثت في نفسه أمل إحياء حلم كاد يموت ويدفن في ركن الإحباط واليأس من نفسه المقهورة...

لم تشغل باله برامج التأهيل والتدريب من تعليم أو تأهيل مهني ...

لم ينبهر حتى بالوعظ والإرشاد الديني ولا بالمساعدات العينية التي توزع على بعض النزلاء المحتاجين في ظروف معينة...

لا يزال على عهده لا يهتم بنفسه كثيراً ما أحس أن أمه وأخواته بحاجةٍ إلى شيء...

فهل حقاً هنالك من سبيل لجعل المؤسسة تسعى في تقديم مساعدة - أي مساعدة - مهما كان نوعها أو طبيعتها لأهله..؟

هل حقاً ثمة أيادٍ خيرة تمتد من خلال المؤسسة أو بواسطتها إلى بعض أسر النزلاء وبشكل خاص للأسر المحتاجة..؟

دارت هذه الأسئلة المحيرة في ذهنه المثقل بالاستشكالات وقرر من تلك اللحظة أن يجد لها إجابة شافية تمنى بنفسه ألا تكون مخيبة ومحبطة..!

ما في المدينة أحوج من أهل بيت منصور...

تـدحرجت هـذه العبـارة عـلى لسـانه الصـامت، وهـز رأسـه في هـدوء قاصـدا المضـي في سـبيل انـتزاع هـذه المسـاعدات بـأي شـكل من الأشكال...

معتقـداً أنـه ربمـا يحتـاج إلى جهـد واحتيـال حـتى يـتمكن مـن الاستفادة منها...

حـتى ولـو... لـن أعـدم حيلـة في إقنـاعهم باسـتحقاق أهـلي لهـذه المساعدات ..

لأنهم هم فعلاً أكثر من يحتاجها!.

فأخـذ يسـأل مـن معـه مـن الـنزلاء عـن مـاذا يتطلـب الحصـول على موافقة إدارة المؤسسة لمساعدة الأسر المحتاجة؟

علـم أن عليـه أولاً أن يقابـل الأخصـائية ليطلعهـا عـلى حقيقـة الحالة المادية لأهله، وبعد ذلك تسير الأمور على ما يرام..

ليس هذا بالأمر العسير...

فمقابلـة الأخصـائية الاجتماعيـة واسـتجداؤها إذا تطلـب الأمـر أمور مقدور عليها...

أخـذ منصـور بكـل التـدابير اللازمـة لبلـوغ مأربـه مـن مقابلـة الأخصـائية الاجتماعيـة ليجـد نفسـه في اليـوم المـوالي في المكتـب المخصص للمقابلات...

لـم تكـن هنـاك مـن عراقيـل ولا تعقيـدات واسـتطاع أن يـدخل مباشرة في صلب الموضوع الذي جاء من أجله.

سند يستكشف أهل بيت منصور..

عـائلتي -أمي وأخـواتي- في وضـع مـادي صـعب وأنـا مـن أعـيلهم، وأريـد منـك أن تجعلـيهم يسـتفيدون مـن برنـامج المسـاعدات الـذي بلغني أنكم تقدمونها للأسر المحتاجة.

لا أطلب شيئاً آخر...

وطبعـاً لـن تفـوت الأخصـائية هنـا فرصـة التأهيـل والتوجيـه الـتي أتاحهـا لهـا منصـور دون أن يـدرك ذلـك، وتعمـدت أن تـربط لـه بـين مـا تسـتطيع المؤسسـة تقديمـه مـن عـون ومسـاعدات لأهلـه، وبـين مـدى التزامـه بالخطـة التأهيليـة الموجهـة للنزيـل نفسـه ومـا يقتضـيه ذلـك

مــن احــترام الأوامــر والتعليمــات التنظيميــة الداخليــة، وضرورة أن يتفـادى كـلّ تصـرف أو سـلوك قـد يـؤدي بـه إلى الحرمـان مـن المزايـا والمساعدات التي تقدمها المؤسسة لنزلائها وذويهم!...

وطبعـاً لا ضرورة هنـا للتنويـه بحقيقـة الفصـل بـين الخـدمتين، تلـك المقدمـة للنزيـل والـتي تقـدم لذويـه، ولكنـه ضـغط شرعي يحـق لهـا أن تلجـأ إليـه في مثـل هـذه الحـالات مـا دام يخـدم مصـلحة العمـل دون المساس بالهدف والغاية التي وضع من أجلها...

فلـو حـدث أن شرعـت المؤسسـة في تقـديم خدمـة مـن خـلال برنـامج "سـند" لإحـدى الأسر المحتاجـة... فـإن تلـك الخدمـة لا يمكـن أن تتـأثر سـلباً عـلى الأقـل بسـلوك النزيـل الـذي يربطهـا بالمؤسسة...

بـل لا بـد مـن التأكيـد هنـا عـلى أن هـذه المبـادرة تتـنزل في إطـار خطـة شـاملة تهـدف إلى التخفيـف مـن وطـأة الفـاتورة المجحفـة الـتي تتكفلهـا الدولـة عـبر العديـد مـن أجهزتهـا المعنيـة في سـبيل تغطيـة مطالـب هـذه العينـة مـن الأسر والعـائلات الـتي تلجـأ نظـراً لظـروف اجتماعيـة قـاهرة إلى امتهـان التسـول والاعتمـاد عـلى المعونـات والمسـاعدات الخيريـة، مـع مـا يقتضـيه ذلـك الواقـع مـن مشـاكل تنمويـة واجتماعيـة تتعلـق بهـذه الأسر والـتي لـيس أقلهـا انفـراط عقـد

الأسرة وتعرض العديد من أفرادها إلى الضياع والإهمال خاصة أطفال يافعين بسبب غياب المعيل وعجز الأمهات عن الوفاء بجميع المسؤوليات التربوية اللازمة...

فتأتي هذه المبادرة إذاً لتسد هذه الثغرة بخلق بيئة مناسبة للأمهات من أجل التكفل بمسؤولية التربية والإعالة في ذات الوقت، وذلك من خلال جملة من الحلول المبتكرة التي تساعد على تلك المهمة بالغة الصعوبة والتعقيد.

عموماً لقد تلقى منصور خلال هذه المقابلة جملة من التوجيهات والنصائح وأجاب عن العديد من الأسئلة والاستفسارات حول تفاصيل وضع أسرته، وتلقى شرحاً مفصلاً بسطت فيه الأخصائية موضوع التدخل الذي يمكن للبرنامج أن يعالج من خلاله أوضاع الأسر المحتاجة.

تكلمت عن المساعدات العينية التي تأتي ضمن برنامج وحملات متنوعة، ليس أقلها قيمة حملات المير الرمضاني وحقيبتي التي تركز على الأدوات والمستلزمات المدرسية مزامنة مع افتتاح كل عام دراسي، ولا ترميم المنازل وتأثيثها بالنسبة للأسر التي نسجل احتياجها لمثل تلك المساعدات، فهذه الحملات وغيرها من ضمن التدخلات الاستعجالية التي تلجأ إليها المؤسسة

في محاولتها للتخفيف من وطأة الفقر والحاجة على هذه العائلات الضعيفة و تعمدت أن تبالغ في شرح تفاصيل برنامج سند الذي تقترح أن يكون التركيز على أسرته من خلاله لكنهم بحاجة إلى مساعدات مستعجلة يقول منصور..

سنرتب غداً بحول الله زيارة ميدانية لهم، وسنقدم ما تيسر من المساعدات..

وسنقوم فوق ذلك بدراسة لحجم احتياجاتهم الضرورية، حتى تكون مساعداتنا في المستقبل موجهه ومفيدة!

لكن ما أطلبه منكَ أن تساعدنا فيه هو إقناع الوالدة أو البنات أو إحداهن في الانتساب لهذا البرنامج الذي حدثتك عنه.

تقصدين برنامج "سند"؟

نعم: هذا هو الأهم وهو الذي نأمل أن تستفيد منه الأسرة بشكل أكبر..

كان منصور خلال هذه المقابلة يفكر بشكل خاص في أخته الماهرة في الحياكة والتطريز لكنه ليس متأكداً حتى تلك اللحظة من قدرتها على الوفاء بمتطلبات ولوج هذا البرنامج!

وهل ستكون على مستوى طموح البرنامج وأهدافه البعيدة؟

لهذا استأذن منها أن يتصل بالبيت مباشرة ليجس النبض..

لا، لا منصور: لا تعطها مجالاً للتردد..

مـارس دورك في الضـغط والتشـجيع، حـتى يـدخلن البرنـامج عـن حماسة وقناعة فذلك ما سيعطي نتيجة أفضل!

منصور: اعتمدي عليّ سأفعل ذلك فوراً إن شاء الله..

مـا يعلمـه منصـور أن أختـه بارعـة فعـلاً حـد الخـبرة والاحـتراف في مجال الخياطة والتطريز..

هــذا مــا تعــود أن يســمعه مــن والدتــه وأخواتــه لكنــه لــم يسـتوعب بعـد مـا يمكـن أن يعنيـه ذلـك في مهمـة الخـروج بأهلـه مـن حفرة الفقر ودائرة الحاجة..

لأنَّ مجـرد بيـع بعـض المنسـوجات والملابـس المطـرزة لـيس ذا قيمة تذكر فيما يبدو له..

والإقبـال عليهـا مـن طـرف الجمهـور حـتى إذا تـوفرت بكميـات كبيرة منافسة لن يجعل منها وسيلة لسد حاجيات أسرة كأسرته..

ودار في ذهنـه عامـل الوقـت والـزمن الكـافي لإعـداد كميـة تجاريـة كافيـة لتغطيـة بعـض حاجيـات أسرتـه حـال تسـويقها بالشـكل المطلوب..

إلى آخـر ذلـك مـن الاستشـكالات المحـيرة، الـتي كـادت تقـوده إلى الكفر بمثل هذه الأفكار والمشاريـع غير المجدية..

لكنـه عـاد بسـرعة واسـترجع العديـد مـن تفاصـيل حـديث الأخصـائية المشـجعة ومـيزة التسـويق وتكفـل الجهـات الرسـمية في أغلب الأحيان بشراء منتجات البرنامج بهدف الدعم والتشجيع...

وتـذكر بعـد ذلـك أنهـا فرصـة اسـتثنائية سـاقها الله لأمـه وأختـه ولـن يتضـررن إطلاقـاً مـن خوضـها وتجريبهـا بـل لا بـد أن يسـتفدن منها بأي شكل من الأشكال...!

سـيكون اللقـاء المـوالي مـع منصـور بعـد أيـام وبعـدما تعـود الأخصـائيات مـن أول زيـارة ميدانيـة لبيـت أسرتـه وسيسـتوعب

الموضـوع أكـثر، ويطلـع عـلى تفاصـيل التطـورات المترتبـة عـلى تلـك الزيارة.

وإذن، فـلا يـزال الوقـت مبكـراً عـلى إطـلاق العنـان للـنفس كي تتأمـل خـيراً ممـا تـم اتخـاذه مـن الإجـراءات ليسـت ملموسـة النتـائج والتبعـات ... ولـو أنهـا عـلى أقـل تقـدير أحسـن بكثـير مـن الاستسـلام للعجز وقلة الحيلة...!

عـاد إلى غرفتـه وفي ذهنـه أكـثر مـن سـؤال حـول النتـائج المرتقبـة مـن هـذا اللقـاء.. لا يريـد أن يستسـلم لليـأس والقنـوط.. ولا يريـد كـذلك أن يتعلـق بآمـال جسـام مخافـة الانكسـار عنـدما تكـون النتائج مخيبة أو دون المتوقع...!

سيسـأل ويستفسـر لا محالـة مـن زملائـه الـذين سـبقوه إلى هـذه التجربـة وهـم عـلى اطـلاع أكـثر بأسرارهـا وحيثياتهـا وسـيبني عـلى تلـك المعلومـات ويقارنهـا بكـلام الأخصـائية، سـاعتها يسـتطيع أن يبـني تصـوراً مبـدئياً عـن هـذا البرنـامج وهـل هـو فعـلاً جـدير بالاهتمـام أم أنـه مجرد دعاية وتمضية للوقت...

سـمع الكثـير مـن المتناقضـات والكـلام المتضـارب، فهنالـك مـن يبشره ويدعوه إلى الأمل...

وهنالك المثبطون والمقللون من قيمة كل ما يقال عن هذه البرامج وهذه المشاريع...!

لم ينس منصور أن عليه الاتصال بالبيت استباقا لزيارة الإحصائيات ليمهد لهن ويسهل عليهن من مهمة يتوقع أنها لن تكون صعبة لما يعرف من حاجة أهله واستعدادهم للتعاون مع كل من يعرض عليهم المساعدة وإنما اتصل حتى يزيد من فهم والدته وأخواته للعروض التي تقدمها الأخصائيات...

وقد كان توقعه في محله، فقد أبدت الأخت رغبتها واستعدادها للتعاون في كل ما اقترحنه عليها وسايرت الوالدة على عادتها في الانصياع التام لرغبات الأبناء ومقترحاتهم...

خـــلال الزيـــارة تأكـــدت الأخصـــائيات مـــن صـــدق منصـــور، ولاحظـن حجـم الحاجـة الكبـيرة الـتي يعـيش فيهـا أهـل هـذا البيـت لأجـل ذلـك لـم يجـدن مانعـاً في تقـديم مـا تعـودن عـلى تقديمـه في مثـل هـذه الزيـارات الميدانيـة مـن مسـاعدات عينيـة تلقاهـا أهـل البيـت بمزيد من الحفاوة والترحاب.

أمـا فيمـا يتعلـق بقبـول "سـعدية" أخـت منصـور الانخـراط في برنـامج "سـند"، فقـد أعربـت عـن اسـتعدادها لـه وترحيبهـا بـه أيمـا ترحـاب، وأكـدت لهـن مبلـغ مهارتهـا في فـن التطريـز والحياكـة تمامـاً مثلما سبق وأن أخبرهن منصور...!

وأنها متأكدة من أنها ستنال إعجابهن عندما تباشر العمل...!

طبعـــاً في مثـــل هـــذه الحـــالات عـــلى الأخصـــائيات ألا يأخـــذن بكلام المستهدفات...

أو قل إنهن لا يتقبلنه على علاته دون تجريب وامتحان...

ولأجـل ذلـك أخبرنهـا أن عليهـا الاسـتعداد لـدخول دورة سـتقام قريبـاً سـتبرهن مـن خلالهـا عـلى مسـتواها في الحياكـة والتطريـز وستضـيف إلى مهارتهـا المزيـد مـن الفنيـات والتقنيـات عـلى أسـاس علمي مدروس...!

هـــذا فضـــلاً عـــن دروس مكثفـــة في مجـــال إدارة المشـــاريع الصـغيرة، وفنـون العـرض والتسـويق... إلى غـير ذلـك ممـا تتطلبـه إدارة المشاريـع المبتدئة...

كـان لكلمـة مشـروع صـدى كالسـحر في أُذن هـذه السـيدة دفعهـا إلى إبداء المزيد من التأهب والحماس لخوض هذه التجربة...

بعـدما فهمتهـا الأخصـائية منـذ البدايـة أن المؤسسـة سـتقوم بتمويـل شـامل لمشـروع صـغير خـاص بكـل مشـتركة اسـتطاعت أن تثبت جديتها في العمل حسب ما تقترحه المؤسسة وتوجه به...

وربمـا كـان كـذلك منصـور قـد أخبرهـا خـلال اتصـالاته السـابقة على الزيارة...

سـارت الأمـور عـلى أفضـل مـا يـرام مـع سـعدية وأمهـا مـن حيـث الالـتزام بكافـة المواعيـد الـتي تـم الاتفـاق عليهـا مـع المشـرفات، وكـان حضـورهن الـدائم في الأوقـات المحـددة والمناسـبات العارضـة مثـار رضا وإعجاب..

سـعدية مدربـة معتمـدة لـدى برنـامج "سند"..

وفـوق ذلـك برهنـت الابنـة مبكـراً عـلى مهارتهـا اللافتـة في مجـال الخياطة والتطريز...

ممـا دفـع المـدربين للتجـاوز بهـا إلى التـدريب عـلى مسـتوى أرفـع سيؤهلها قريباً لبلوغ مقعد المدربة المعتمدة في هذا المجال...

وذلـك في الواقـع نجـاح كبـير سـيكون لـه انعكاسـه عـلى هـذه العائلـة مـن ناحيـة الـدخل والمـردود نظـراً لأن مخصصـات المدربـة أفضـل مـن حيـث الكـم والاسـتمرارية مـن إيـرادات العـرض والبيـع والحياكة والتطريز...

وفعلاً منح هذا الاستثناء لسعدية استحقاق راتب ثابت من البرنامج بعدما نالت موافقة اللجنة المشرفة على اعتمادها مدربة للنزيلات وأسر النزلاء في هذا المجال الذي برعت فيه وأبدعت!

وإذاً فتلك خطوة معتبرة على طريق الاستقرار والأمان بالنسبة لهذه العائلة النموذجية التي استطاع برنامج "سند" أن يستقطبها محققاً من خلالها فائدة مزدوجة تتجاوز الحدود المعتادة في تحسين الحالة المادية للأسرة المستهدفة من خلال دمجها بالمشاريع الصغيرة التي يمولها البرنامج، إلى الاستفادة من قدرات أحد أفرادها في رفد البرنامج بخبرة يُنتظر منها أن تساهم في استدامة أنشطته وتدريب المنتسبين إليه من طرف واحدة منهم تحمل همومهم وتطلعاتهم وتعرف ما الذي يحتاجونه بالضبط.

فهل سيعني ذلك اكتفاء البرنامج بهذا القدر من النجاح مع هذه العائلة بالذات، أم ستتم المواصلة معها من أجل تحقيق المزيد من المكاسب ما دام هنالك من ضمن أفرادها من يمتلك رغبة واستعداداً للعب دور إيجابي في هذا المشروع الكبير؟

لا يعتقد القائمون على هذا البرنامج أن حدود النجاح ضيقة وقريبه إلى هذا الحد، فمجرد الحصول على دخل ثابت لفرد واحد من عائلة كبيرة لا يمكن أن يعتبر ضماناً لأمنها واستقرارها ولأجل

هـذا ستسـتمر المسـاعدات عـلى نفـس الـوتيرة، وسيسـتمر العمـل مـع الوالدة لتنفرد بمشروعها المستقل.

بـــل لا مـــانع مـــن الاجتهـــاد في محاولـــة اســـتقطاب البنـــات الأخريـات بـرغم عـزوفهن الشـديد وعـدم إبـدائهن أبسـط اسـتعداد للمشاركة.

أعطـــت أم منصـــور منـــذ دخولهـــا أكـــثر مـــن دورة تدريبيـــة مـــؤشرات جيـــدة عـــلى نجاحهـــا المرتقـــب في إدارة مشـــروع جديـــد وبرهنـــت خـــلال مشـــاركتها الأولى في إحـــدى دورات منـــتزه الشـــرطة الصـــحراوي عـــلى الوفـــاء بمتطلبـــات عارضـــة ملتزمـــة بجميـــع الاشـتراطات المطلوبـة حيـث اسـتطاعت أن تغـطي كامـل فـترة افتتـاح

المنـتزه بنجـاح ملحـوظ بمعروضـاتها المتنوعـة مـن أكـلات شـعبية وعطوا وملابس تقليدية للأطفال...

وعـلى ذكـر المنـتزه يجـدر التنبيـه قصـد المزيـد مـن الإيضـاح أن هـذا المنـتزه يسـجل قصـة أخـرى مـن قصـص النجاحـات والإبـداع الـتي تتميز بها شرطة الشارقة على أكثر من صعيد..

أم منصور في منتزه الشرطة الصحراوي..

حيـث افتتحـت خـلال السـنة الأخـيرة في قلـب الصـحراء منتزهـاً ترفيهيـاً متكامـل المواصـفات والمزايـا، اسـتطاع في ظـرف وجـيز أن يجـذب العديـد مـن العـائلات، وأن يحتضـن العديـد مـن الأنشـطة والفعاليـات الـتي لاقـت استحسـان الـزوار بجميـع فئـاتهم المسـتهدفة. وقـد تـم بنـاء هـذا المنـتزه بلمسـة محترفـة تجمـع بـين حداثـة الفكـرة وأصـاله التصـاميم ومراعـاة المحافظـة عـلى البيئـة باعتبـار المـواد الأوليـة المعتمـدة في صـناعة وتصـميم جـل منشـآته ومكوناتـه

البديعة، ليشكل معرضاً شتوياً تنطلق أنشطته بالتزامن مع العطل المدرسية خلال الفصول المعتدلة والباردة.

وكذلك مناسبة ترفيهية للعامة ولعائلات الشرطة بالدرجة الأولى صغاراً وكباراً من خلال جملة من الفعاليات والأنشطة المتميزة.

وطبيعي أن تعطى الأولوية فيه فيما يتعلق بالعروض التسويقية للعائلات المنضوية تحت برنامج سند، كنشاط ترعاه وتتبناه القيادة العامة لشرطة الشارقة.

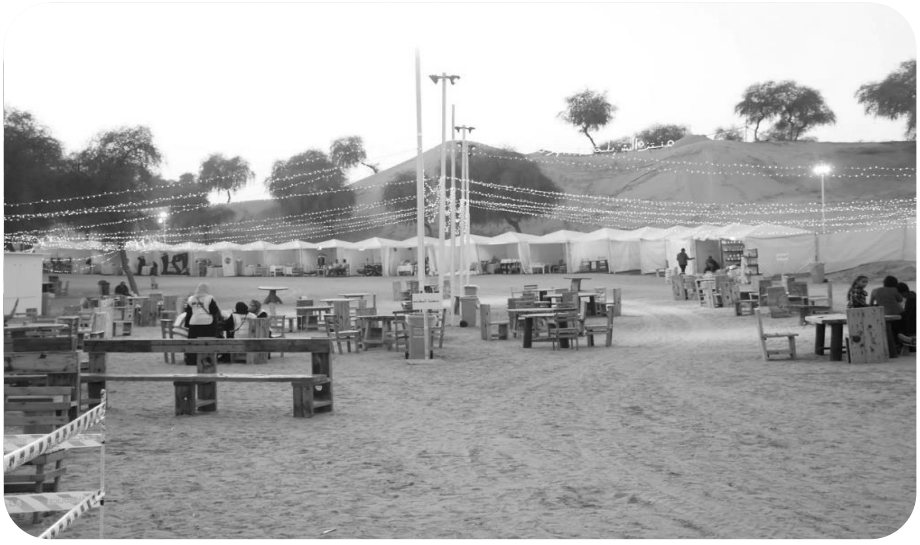

حيث احتضن هذا المنتزه البداية الفعلية للنشاط المشترك بين أم منصور وبرنامج "سند"، تلك البداية التي رسخت الانطباع

الحسن عن مستقبل هذه الشراكة وهذا التعاون وشجعت الطرفين على الجد والاجتهاد في سبيل الرفع من مستواها كماً وكيفاً...

وهكذا بعد شهرين من اعتماد "سعدية" مدربه رسمية للنزيلات وعائلات النزلاء في مجال الخياطة والحياكة وحصولها على راتب شهري ثابت من البرنامج، إضافة إلى دخول أم منصور بقوة ونشاط في مختلف المعارض والفعاليات فضلاً عن تسجيلها حضوراً دائماً في المعارض الدائمة أو طويلة الأجل...

تنفست هذه العائلة الصعداء ومالت أمورها المادية إلى الاستقرار ليضيف البرنامج بهذه الحالة إنجازاً جديداً إلى إنجازاته ونجاحاته في مجال الارتقاء بالمستوى المادي والمعنوي للعائلات الفقيرة وتمكينها من ريادة المشاريع التجارية الصغيرة التي تضمن لها دخلاً مناسباً يحفظ لها مكانتها الاجتماعية، ويحصن أبناءها من الانحراف المترتب على الحاجة الشديدة والافتقار إلى ضروريات الحياة...

تأثر منصور بنجاح البرنامج مع أمه وأخته..

بات من الجلي للعيان ذلك التأثير الإيجابي الذي يحدثه نجاح تجارب "سند" مع العائلات على أبنائها في المؤسسة الإصلاحية والعقابية...

فكلما كانت التجربة مفيدة وذات قيمة بالنسبة للعائلة كان مردود ذلك جلياً وواضحاً على النزيل المعني من ناحية الالتزام والانصياع للنظم والقوانين الداخلية، وداعماً لفرصته في الاستفادة من برامج ومناهج الإصلاح التي تستهدف تقويمه وتأهيله من الناحية العلمية والدينية والمهنية...

وربما يكون مرد ذلك من الناحية النفسية إلى مستوى السعادة والارتياح الذي يبلغه النزيل حين يتأكد أن أشخاصاً يهمونه نالهم الخير من هذه المؤسسة التي تمارس عليه وصاية من نوع ما، دون أن تطالبه بأكثر من الامتثال لمسطرة محددة من النظم والقوانين والتعليمات التي تتم صياغتها لتراعي قبل كل شيء خدمته، وتهدف إلى إصلاحه وتقويمه على اعتبار حاجته إلى تدخل هذه طبيعته.

وذلـك مـا يـرجح بقـوة عـدم ممانعتـه بـل واسـتجابته بطيـب خاطر لتلك المطالب والتوجيهات...

يتأكـد ذلـك بوجـه خـاص عنـدما تكـون العلاقـة بـين النزيـل والعائلـة علاقـة أبـوة أو إعالـة تضـررت مـن حبسـه بشـكل مبـاشر، ليجـد نفسـه محرجـاً مـن عـدم المكافـأة ورد الجميـل لجهـة أسـدت لـه هذه الخدمة وقدمت له هذا المعروف...

وهي المـيزة الـتي تعـطي هـذا البرنـامج قيمـة إضـافية، وتفـتح لـه آفاقـاً مسـتقبلية واعـدة للاعتمـاد والتطـوير كبرنـامج أسـاسي في عمليـة الإصـلاح والتأهيـل بـالموازاة مـع دوره الأسـاسي في دعـم الأسر المتعففة والرفع من مستواها المادي والاجتماعي.

ولا شـك أن القـائمين عـلى هـذا البرنـامج يأخـذون بالاعتبـار هـذه الحقيقة وينظرون إليها كإحدى أهم نقاط قوته ومميزاته.

الخاتمــة

مــرة أخــرى وترجمــة للمجهــود التوعــوي الــذي تلــزم المؤسســة العقابيــة والإصــلاحية في الشــارقة نفســها بــه إزاء هــذا المجتمــع، ووعيــاً مــن القــائمين عــلى هــذه المنشــأة بجســامة الــدور الملــقى عــلى عــواتقهم تجــاه شريحــة مــن مجتمــع دولــة الإمــارات العربيــة المتحــدة جــاءت كمــا تقــدم معنــا في ســياق هــذا العمــل هــذه المبــادرة المتميــزة لتفســر حجــم الحــرص عــلى ضرورة ابتكــار الحلــول والإبــداع في حــل المشــاكل ومعالجــة الأزمــات بقليــل مــن الجهــد وكثــير مــن الــوعي قياســاً عــلى حجم المكتسبات.

ولــئن كانــت هــذه المبــادرة متمــيزة وفريــدة مــن حيــث الفكــرة والتنظــير بمــا حققتــه مــن ســبق عــلى مســتوى الدولــة فإنهــا كــذلك فريدة ومتميزة من حيث الطرح والأسلوب.

إذا أخــذنا بالاعتبــار مبلــغ التــأثير المتوقــع أن يحدثــه نمــط الأســلوب والتنــاول القصصــي عــلى القــارئ مقارنــة بــالتقرير الإحصــائي والعلــمي الــذي يمكــن أن يعــرض المبــادرة قائمــة مــن المعلومــات والأرقام الجامدة.

ولعل ذلك بالضبط ما يفسر انتهاجنا أسلوب القصة الأدبي بما فيه من مؤثرات وإيحاءات تخاطب العقل والعاطفة في آنٍ، وتحمل القارئ على أن يعيش الواقع في أدق تجلياته وتفاصيله، ليس بقصد المبالغة والتأثير وإنما بهدف زيادة الوعي والاطلاع على جوانب وجزئيات قد يكون إهمالها مخلاً فيما يتعلق بحقيقة فهم الصورة واستيعاب الفكرة.

فعلى اعتبار أن هذه القصص هي في الواقع سرد حقيقي أشبه ما يكون بالتوصيف الموضوعي لمثل ما حصل بالفعل دون تحليله أو تحويره إلا بقدر ما يلائم وضعه نصاً أدبياً قابلاً للقراءة ومخاطبة الوجدان، لم نبالغ في تضخيمها أكثر من اللازم حفاظاً على قدر لائق من المصداقية والموضوعية، تماماً مثلما لا تتيح لنا أدبيات النشر استنساخ الأحداث ونقلها كما حدثت بالفعل.

وبين هذا وذاك وجدنا مساحة كافية للتحرك المحايد بين الطرفين لصالح الفكرة والهدف، لكن ليس على حساب الحقيقة والواقع.

حدث ذلك من خلال أربع عينات أو حالات يستند معيار الاختيار فيها على طبيعة اختلاف تدخل البرنامج ومستوى تأثيره على أصحابها، على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

وإلا فالعينات والحالات التي شملها تدخل البرنامج أكثر بكثير ولولا خشية الوقوع في التكرار لتناولنا عدداً كبيراً من الأسر التي استطاع أصحابها بفضل الانخراط في هذه المبادرة تغيير أوضاعهم المادية والاجتماعية من السيئ إلى المقبول والمتوسط والحسن.

ومن ناحية أخرى قد يكون من نافلة القول هنا أن هذه المبادرة هي نتاج تعاون كبير ونموذجي بين العديد من الجهات الرسمية والمدنية، سواء كان هذا التعاون صريحاً كالتدخل المباشر والشراكة أو غير مباشر كالاستفادة من بعض التجارب في جوانب وجزئيات من جزئيات هذه المبادرة.

وقد كرست لها القيادة متمثلة في المؤسسة العقابية والإصلاحية كل أسباب الدعم والمساندة ورمت بكل ثقلها خلف نجاحها وخروجها إلى صعيد الواقع تجربة إبداعية مبتكرة وحثت القائمين عليها على استنفاد كل الجهود والطاقات اللازمة لنجاحها وذللت الصعاب وأزاحت العقبات إيماناً بجدارة الفكرة وأحقيتها في الميلاد والخلود.

ونظراً لأن تسلسل الأحداث وسياقها في مجموعة القصص التي احتواها هذا الكتاب لم تكن لتسمح لنا بإيراد كامل التفاصيل عن هذه المبادرة "مبادرة سند" ومتعلقاتها فلا بأس من الإشارة

في هـذه الخاتمـة إلى بعـض النقـاط المهمـة، ولـو عرضـاً بـدل إغفالهـا بشـكل تـام، فنشـير عـلى سـبيل المثـال إلى أن هـذه المبـادرة لـم تكـن مقتصـرة عـلى مجـرد التمويـل والتـدريب والمتابعـة لمشـاريعها الصـغيرة مـع العـائلات المسـتهدفة ولكنهـا شـملت في حـالات أخـرى وضـمن بـرامج ومناسـبات متعـددة بعـض المسـاعدات العينيـة عـبر قناة مبتكرة للتواصل الدائم مع هذه العائلات تحت مسمى:

"المنتـدى الإلكـتروني" الـذي يهـدف إلى ضـمان الاستشـارة المتخصصـة عـلى مـدار السـاعة لمعالجـة المشـاكل الطارئـة والعالقـة بين النزيل في المؤسسة وأهله في الخارج.

بـل وأكـثر مـن ذلـك رعايـة الأبنـاء ومتابعـة شـؤونهم والتواصـل مـع مدارسـهم درءاً للتسـرب أو الطـرد، وتـوفير كـل مـا يلـزمهم خـلال تلـك المرحلـة الحرجـة، إضـافة إلى تقـديم الـدعم المـادي لـلأسر عـبر مبـادرات مثـل المـير الرمضـاني وكسـوة العيـد وصـيانة المنـازل وتـوفير الأثـاث وتسـديد الفـواتير وتنظـيم الحمـلات الصـحية للكشـف الاستباقي عن الأمراض ومعالجتها إن وجدت.

كـل ذلـك مـن أجـل أن تغـطي هـذه المبـادرة منـاحي متعـددة في حيـاة هـذه الأسر، وحـتى تسـتلهم قـدر المسـتطاع نهـج القـادة

وتوجيهاتهم في تلبية مطالب وتطلعات أبنائهم المواطنين كيفما كانت ظروفهم وأحوالهم.

فعندما لا يحتمل الوضع التأجيل ولا يبقى هنالك مجال للتنصل من المسؤولية والتقاعس عن أداء الواجب، يكون من اللازم أن يتصدر للدور أناس على قدر من الوعي وبُعد النظر لرسم خطة واضحة من شأنها أن تعالج المشاكل المطروحة من الأساس وتقترح لها أنجع الحلول بما يتوافق مع الهدف الاستراتيجي والرؤية العميقة لوزارة الداخلية المتمثلة في تعزيز الأمن والأمان والعمل بفاعلية لتصبح دولة الإمارات العربية المتحدة من أفضل دول العالم في تحقيق الأمن والسلامة، وانسجاماً كذلك مع محور وزارة تنمية المجتمع الهادف إلى تحقيق مجتمع متلاحم.

وكنموذج على هذا الطرح تتنزل هذه المبادرة الرائدة في فضاء العمل الأمني والاجتماعي الإصلاحي بمفهومه الواسع لتؤكد أن حدود العمل الخيري والإصلاح تبقى مفتوحة، بل إن المسؤولية الحقة تقتضي رؤية تتسم بالعمق والشمولية، والوعي بضرورة التمدد والاتساع حتى تضيق بكل إطار تقليدي محدد لتطال أطرافاً كان ينظر إليها في الغالب على أنها خارج دائرة الاهتمام والاختصاص.

صدر عن إدارة مركز بحوث شرطة الشارقة

رقم الإصدار:

206. التحديات العامة لوزارة الداخلية لدخول دولة الإمارات مرحلة استكشاف الفضاء عبر مسبار الأمل.

207. حماية المستهلك عبر الشبكة العالمية للمعلومات الانترنت"في القانون الدولي الخاص.

208. مبادرة تطوير أساليب التحقيق والتعامل مع الظواهر الإجرامية لرفع كفاءة المحققين 2016-2014.

209. الشرطة نشأتها وتطورها منذ بدايتها حتى العصر الحديث" شرطة الإمارات العربية المتحدة نموذجا".

210. الرؤية الاستباقية للشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ودورها في تحقيق الأمن بدولة الإمارات العربية المتحدة.

211. حوكمة الإدارة الشرطية .

212. Morals of my story Light on the path of hope.

213. المواجهة التشريعية والأمنية للجرائم المتصلة بمواقع التواصل الاجتماعي.

214. إدارة المعرفة الأمنية ودورها في تطوير الإبتكار الأمني.

215. الدور الأمني للبنوك والمصارف في مكافحة جريمة غسل الأموال.

216. حجية التوقيع الإلكتروني في الإثبات.

217. ضحايا الاحتيال الإلكتروني في المجتمع الإماراتي.

218. دراسات استشراف المستقبل ودورها في دعم اتخاذ القرار بوزارة الداخلية بدولة الإمارات العربية المتحدة.

219. المواجهة القانونية والأمنية للاتجار بالبشر.

220. دراسة تحليلية ونقدية لجهود دولة الامارات العربية المتحدة.

221. الدور الأمني للكلاب البوليسية K9 وطرق تدريبها.

222. دور الخدمة الوطنية في بناء وترسيخ هوية الشباب في دولة الإمارات العربية المتحدة.

223. جرائم السرقة من المساكن بواقع الإحصاء الجنائي بإمارة الشارقة 2020-2012.

224. دور الإعلام الأمني في مواجهة الفكر المتطرف فى دولة الإمارات العربية المتحدة (دراسة ميدانية).

225. تطوير البناء التنظيمي لجهاز الشرطة في دولة الإمارات العربية المتحدة وأثره في مواجهة جرائم الإرهاب (دراسة مقارنة).

226. استشراف مُستقبل الجـرائم المعلوماتية في ضوء التحديات المعاصرة.

227. الآليات الذكية للمتحدث الرسمي الذكي.

تطلب القائمة كاملة للإصدارات من مركز بحوث شرطة الشارقة

سند

مبادرة رائدة لدعم أسر النزلاء قصص واقعية من وحي التجربة

Sanad

A pioneering Initiative to Support Inmates' Families; Real-life Stories Inspired by experience

هذا الكتاب

تبلورت فكرة سند في هذا الكتاب استكمالاً لسلسلة المبادرات والمشاريع الخيرية لتكون نواةً وبلسماً لعلاج أوجاع بعض الأسر الضعيفة والمتعففة في الدولة التي تعيش ظروفاً استثنائية في حال غياب المعيل عنها مما استدعت الحاجة للتفكير الجاد في تقديم حلول مبتكرة لتصحيح وضع العائلات النفسي والمادي، ومنحها فرصاً أفضل للتغلب على المشكلات التي تواجهها، عبر تمكين ربات الأسر من إقامة مشاريع منزلية تعود بالنفع على الأسرة والمجتمع.

ومن أبرز ما تحققه مبادرة سند من نتائج ما يلي:

- انتشال العديد من الأمهات والزوجات والأطفال من ظروف الحاجة والعوز إلى مقام الإنتاج وتمكين السيدات من ولوج سوق العمل دون اضطرارهم لترك أبنائهم، والمساهمة في الحد من البطالة في المجتمع.
- تحقيق الاستقرار النفسي للنزلاء لتحقيق رضا أسرهم مما يكون له الأثر الطيب على مستوى تفاعل النزلاء مع البرامج المقدمة والتزامهم بالقوانين ليكونوا أفراداً فاعلين وصالحين في المجتمع.